ثرثرة بعد جنازة

تأليف : **ياسمينة رضا**

(جائزة موليير لأحسن كاتب درامى ١٩٨٧ ، ١٩٩٥)

.

ياسمينه رضا

إذا كان المسرح الحالى ، بشكل عام ، يوحى بنوع من التشابه فى الإنتاج، إلا أنه يبدو فى صورة من التباين أو التنافر الذى يثير الحيرة. ففى إنتاج هذا المسرح تتعايش نصوص فى غاية التماسك ودقة الحبكة ، إلى جانب نصوص أخرى متهرئة ممزقة . ونصوص فى غاية اليسر والسهولة ، إلى جانب نصوص فى غاية التعقد والغموض . كما نجد نصوصا أحادية الدلالة ، مع أخرى متعددة الدلالات ، ونصوصا فى قمة الشاعرية إلى جانب نصوص مرتجلة إلى أقصى درجات الارتجال على حد قول سيجيلد بوجوميل .

ومع ذلك فبالرغم من نقاط الاختلاف والتباين ، فهناك بعض نقاط التشابه أو على الأقل بعض الخطوط العريضة التى تجمع هذه الأشتات وهذه الأصوات الفردية .

هذه الحقيقة تنسحب أيضا على حالات الكتابة النسوية . فالكاتبات أيضا ، شأنهن شأن الرجال الكتّاب ، فإذا كن يجتمعن حول صفات معينة ، فهذا لا يلغى الفوارق بينهن . وإذا كانت أعمال ياسمينة رضا تعد نموذجا واضحا للكتابة النسوية فإنها لا تنحصر فى قضايا

الجنس الآخر ، بل ولا تميز بين الجنسين فى أعمالها ، بل ولا نشعر عندها بهيمنة الشخصيات النسائية أو القضايا التى تهم المرأة بنوع خاص .

كتبت ياسمينة رضا أولى مسرحياتها عام ١٩٨٧ بعنوان " ثرثرة بعد جنازة " حصلت بها على جائزة (موليير لأحسن عمل درامى) وفى عام ١٩٨٩ كتبت مسرحية " اجتياز الشتاء " وفى عام ١٩٩٤ كتبت ياسمينة رضا مسرحيتها الثالثة بعنوان " فن " محققة نجاحا تجاوز حدود فرنسا . وفى عام ١٩٩٥ ، عرضت لها مسرحية "رجل المصادفة" . ومن الجدير بالذكر أن ياسمينة رضا حصلت مرة أخرى على جائزة موليير وذلك فى عام ١٩٩٥ .

الحدوته عند ياسمينة رضا تأتى فى المستوى الثانى من الاهتمام . إن مسرحية مثل "ثرثرة بعد جنازة " تقدم لنا أفراد أسرة يجمعهم دفن الوالد . تتألف المجموعة من الأخوين (ناتان) و (أليكس) والأخت (إيديت) وخالهم (بيير) وزوجته (جوليين) و (إيليزا) العشيقة السابقة للأخ (أليكس) . وتجرى الأحداث فى ضيعة الأسرة . والحقيقة أنه ليس ثمة أحداث حقيقية . فبمجرد دفن الميت تنخرط الشخصيات فى سلسلة من الأحاديث والمناقشات التى لا علاقة لها بالجنازة ولا بالفقيد ، وإنما تنصب على العلاقات الأسرية بين الإخوة والخال والخالة ومغامراتهم العاطفية الفاشلة . وتتنوع الأحاديث على هوى اللقاءات ومداخلات الشخصيات . فلا قضية أساسية ولا موضوع حقيقى .

الجوهر فى مثل هذه المسرحيات ليس ما يجرى على المنصة ، وهذا ما يشير إليه الشخصيات . (فنحن نمر بجوار كل شىء) على حد تعبير (إيما) فى مسرحية " اجتياز الشتاء " والشخصيات تشعر بالحنين (لما لا يقع) . وهذا ما تعبر عنه ياسمينة رضا فى "ثرثرة بعد جنازة " .

* * *

عرضت هذه المسرحية فى ١٥ يناير ١٩٨٧ على مسرح باريس فيليت بإدارة هنرى دى مينتون .

إخراج : **باتريس كيربرات**

ديكور : **جاك لى ماركيه**

توزيع الأدوار

ناتان بول بارج فى الثامنة والأربعين
إيديت جوزيان ستوليرو فى الخامسة والأربعين
أليكس جان ميشيل دوبوى فى الثالثة والأربعين ، شقيق ناتان وإيديت
بيير جان بول روسيّيون فى الخامسة والستين ، خالهم
جولبين لوسيان هامون فى الرابعة والخمسين ، زوجته
إيليزا كارولين سيهول فى الخامسة والثلاثين، صديقة أليكس السابقة

المكان

- ضيعة للأسرة فى لواريه
- فضاء مفتوح ووحيد
- عناصر متتالية توحى بالغابة والمنزل

بحيث إن لحظات " الإظلام " تكون أقصر ما يمكن .

(١)

[الظهيرة. فى سكون عشب الغابة، رجل يهيل التراب على نعش الأب ، ثم يبتعد . ناتان وإيديت وأليكس يقفون جامدين. على مسافة منهم ، بيير وجوايين. بمعزل قليلا ، إيليزا . ناتان يخرج من جيبه ورقة ويقرأ بصوت مرتفع]

نـــاتـــان : "حينما ماتت أمى ، كان عمرى ست سنوات. كانت تصعد السلم بحقيبة سفرها وأنا أتذكر الحقيبة التى سقطت من الجنب فوق البلاط الحجرى . وحينما توفى والدى ، كنت فى الحادية عشرة من عمرى، وكانت الحرب دائرة ... لقد وجدتنى وحيدا فى العالم. وحيدا نشطا فعَّالا ، لدرجة أن الشيطان زارنى ... وقد استقبلته كعون إستراتيجى ، حصن حصين كنت أختفى فيه من مرمى القذائف . منذ ذلك اليوم وحتى الأبد ، خرجت إلى الحياة مغطى بالأشواك من رأسى إلى قدمىَّ، منزها من الخطأ وبارداً . أطلقت على ابنى المتخيل اسم ناتان. سيمون وينبيرج ١٩٢٨"

كان والدى فى العشرين من عمره .

[إظـــلام]

(٢)

[شرفة . مستوى المنزل . منضدة . كراسى حديقة]
[أليكس وناتان واقفان]

نـــــاتـــــان : من أين جئت ؟
ألـــيـــكـــس : من غرفتى .
نـــــاتـــــان : ناديتك ، ولم تجبنى .
ألـــيـــكـــس : هل سافرتْ ؟
نـــــاتـــــان : لا أعرف .
ألـــيـــكـــس : من أبلغها ؟
نـــــاتـــــان : لا أعرف .
ألـــيـــكـــس : أنت .
نـــــاتـــــان : كلا .

[تظهر إيديت]

إيـــــديـــــت : أنا ... أنا التى أبلغتها .
ألـــيـــكـــس : هل طلبتِ منها الحضور ؟
إيـــــديـــــت : لا . **[لحظة]** وما أهمية ذلك ؟
ألـــيـــكـــس : هل سافرتْ ؟
إيـــــديـــــت : لا .
ألـــيـــكـــس : قولى لها أن تذهب .
إيـــــديـــــت : كف عن ذلك ...

ألـيكـس : قولى لها أن تذهب ، لو سمحت .

[صمت]

إيـديـت : هل تحبان أن أعد قهوة ؟

ألـيكـس : يوجد بالداخل مسخرة !

إيـديـت : اسمع يا أليكس ، ألا ترى أن هذا ليس وقته ...

نـاتـان : دعيه ...

إيـديـت : كانا يتقابلان ، ولقد جاءت هنا دون أن تعلم أنت .

ألـيكـس : إذن ؟

إيـديـت : أقصد أنه ليس من المستغرب وجودها هنا .

ألـيكـس : لأنك بمجرد أن تترددى على شخص تحضرين جنازته بالضرورة ! عليك أن تمضى حياتك فى الجنازات يا مسكينة !

نـاتـان : ممكن تعدين لنا قهوة يا إيديت ؟

إيـديـت : طيب ...

ألـيكـس : خل عنك . سأذهب أنا **[وهو ينصرف]** الحقيقة أنا الذى أبدو مستغربا .

نـاتـان : سلوكك هو المستغرب .

[أليكس ينظر إلى ناتان ثم ينصرف . إيديت تجلس]

[صمت]

[تظهر إيليزا]

إيـديـت : اجلسى ... تعالى ، اجلسى ...

إليـــــزا : كلا ، لن أبقى ، شكرا ... أنا جئت لأودعكم ... إلى اللقاء يا إيديت ... **[تتعانقان]** إلى اللقاء يا ناتان ... تقبل عليه وتبسط له يدها بعد تردد . تستدير نصف دائرة .

نـــاتـــان إيليزا ...

إيليـــــزا : نعم ؟

نـــاتـــان : ابقى قليلا ...

إيـــديـــت : ابقى قليلا ...

إيـــديـــت : أليكس ذهب ليعد قهوة ، ابقى قليلا ...

إيليـــــزا : سيعود .

[لحظة]

نـــاتـــان : أين خالي ؟

إيليـــــزا : ذهب ليقوم بجولة على الطريق مع زوجته .

نـــاتـــان : هل كنت تعرفينها ؟

إيليـــــزا كلا .

نـــاتـــان اجلس .

إيليـــــزا : كلا .

نـــاتـــان : إذا جلست أنا ، هل تجلسين ؟

إيليـــــزا : كلا .

صوت **[أليكس من الخارج]** : إيديت أين الفناجين ؟

إيـــديـــت : فوق الحوض ...

[تنهض وتخرج . صمت]

نـــاتـــان : أنتِ قصصتِ شعرك .

إيليـــــزا : نعم ... منذ فترة طويلة .

نـــاتـــان : هذا أفضل .

إيليـــــزا : تظن ذلك ؟

نـــاتـــان : نعم .

إيليـــــزا : يجب أن أسافر ...

[صمت]

نـــاتـــان : إلى اللقاء .

إيليـــــزا : إلى اللقاء ...

[تستدير نصف دائرة ثم تعود إليه]

إيليـــــزا : **[بسرعة فائقة]** ناتان، أعتقد أننا لن نلتقى بعد ذلك أبدا؛ وهناك شىء يجب أن أقوله لك ... فى خلال هذه السنوات، لم أفكر إلا فى شىء واحد فقط، هو أن ألقاك، لم يكن عندى سوى هاجس واحد، هو أن ألقاك. أن أراك، أن أسمع صوتك ... لقد عشت أفكر فيك ، لا أستطيع أن أحب أحداً غيرك ...

[تستدير وتنصرف بسرعة . يبقى ناتان وحده]

[إظـــلام]

[المشهد نفسه، الإضاءة نفسها. ناتان وحده]

[تظهر إيديت حاملة فناجين القهوة]

إيـــديـــت : هل سافرت ؟

نـــاتـــان : نعم .

[تضع الفناجين فوق المنضدة]

إيـــديـــت : جان اتصل بالهاتف قبل قليل . كنت على وشك أن أدعوه على الغداء غدا، ثم قلت فى نفسى... الواقع أننى لا أرغب كثيرا فى رؤيته ، ليس هو بالذات ، ولكن ... لقد أرسلوه إلى لندن .

نـــاتـــان : راضيا ؟

إيـــديـــت : نعم ، أعتقد ذلك **[تبتسم]** أخبرنى بذلك بنبرة صادقة ...

[ناتان يبتسم]

إيـــديـــت : ألا تشعر بالحر ؟ لست أدرى لماذا أشعر بالحر ... **[تخلع الصدرية]** كأننا فى شهر سبتمبر ... أحسنت صنعا برحيلها .

[يظهر أليكس حاملا وعاء القهوة]

ألـيـكـس : ستكون خفيفة . فلم أجد سوى القليل من البن .

نـــاتـــان : فى البلاكار ؟

ألـيـكـس لم أبحث فيه .

إيـــديـــت : هذه أول مرة أراك تعد فيها قهوة .

ألـيـكـس : كيف تظنين أننى أعيش ؟

إيـــديـــت : لم أقل أنك لا تعرف . أنت تأخذ كل شىء على الوجه السيئ .

ألـيـكـس : لا آخذه على الوجه السيئ . ماذا قلت أنا ؟ كل ما هناك أنك تتصورين أن معرفتى إعداد القهوة يعتبر معجزة ،

أى إنسان تافه يستطيع أن يعد القهوة، ليس فى ذلك عمل خارق ... حتى فى المطبخ ، سألتنى إذا كنت أعرف .

إيـــديـــت : **[متأثرة]** أنا لم أسألك إذا كنت تعرف ، وإنما سألتك إذا كنت تريد أن أساعدك .

ألـــيـــكـــس : سيان .

نـــاتـــان : **[بينما أليكس يفرغ من صب القهوة فى الفناجين]** قهوتك هذه بول أطفال .

[أليكس ينوق ويضع فنجانه بادى القرف]

ألـــيـــكـــس : ماذا يفعل ثلاثتهم ؟

نـــاتـــان : بيير وزوجته يتنزهان . وإيليزا سافرت .

ألـــيـــكـــس : هل رأيتها ؟

نـــاتـــان : جاءت لتودعنا .

ألـــيـــكـــس : هل طلبت منها أن تسافر ؟

نـــاتـــان : كلا .

[صمت . أليكس يسير خطوات]

ألـــيـــكـــس : يجب قص هذا البستان . إنه ملىء بالحشائش . **[إلى إيديت]** هل يوجد مقص ؟

إيـــديـــت : تريد أن تقص البستان بالمقص ؟

ألـــيـــكـــس : لا أستطيع أن أنظر إلى هذه الغابة دون أن أتذكر أبى وهو يختنق تحت... من الجنون أن ندفنه هنا... ألا تشعران أنتما بهذا الشعور ؟ أرى رأسه ومنخريه مليئة بالتراب ،

مع ضوضاء الطيور العالية ...

إيـــديـــت : كف عن ذلك ...

نـــاتـــان : المقص فى المخزن فوق المنضدة .

ألـــيـــكـــس : [ملتفتا نحو إيديت] – عندى رغبة فى قطف بعض العوسج ، تصـور . سأحضر المقص .

[ينصرف . لحظة]

أيـــديـــت : هل تتذكر باقات العوسج .

نـــاتـــان : هو يتذكر .

إيـــديـــت : ماذا أعد للعشاء ؟ لا يوجد شىء . يوجد علبة سردين ، وأرز ...

نـــاتـــان : عظيم جدا .

إيـــديـــت : هل تظن أنهم سيبقون هذا المساء ؟

نـــاتـــان : ليس عندى أى فكرة .

إيـــديـــت : هى متعبة جدا ...

نـــاتـــان : هى غريبة جدا ، مليئة بالحيوية ...

إيـــديـــت : هل تظن ذلك ؟

نـــاتـــان : نعم ... أنا أحبها .

[صمت]

إيـــديـــت : ساعدنى يا ناتان .

[إظـــلام]

(٣)

[طريق ريفى . بيير وجولين يسيران . خلعت معطفها الذى تحمله فوق ذراعها]

جوليين : لو كنت أعرف أن الحرارة ستكون بهذه الصورة، لارتديت المعطف الجابردين... اعترف أن هذا الجو غير متوقع على الأقل فى نوفمبر. على أية حال، لا أدرى لماذا ارتديت الحداد، شىء يثير السخرية ، أنا الوحيدة التى ارتدى السواد. ماذا نعمل هذا المساء ؟ هل سنبقى للعشاء فى رأيك ؟

بيير : لا أعتقد أنه من الذوق أن نفرض أنفسنا .

جوليين : هل ترى بوسعك أن تواصل الطريق الليلة ؟ بصراحة يمكننا على الأقل أن نبقى للنوم .

بيير : سنرى .

جوليين : هذا المنظر رتيب ! لا وجه للمقارنة مع نورماندیا . جميلة إيليزا ، أليس كذلك ؟

بيير : متسيِّبة قليلا .

جوليين : متسيِّبة قليلا ، صحيح . هذه هى الموضة . توقف . فظيع أننى بمجرد أن أمشى خمسين مترا . ألهث وأختنق .

بيير : شىء طبيعى ، لأنك لا تمارسين أى تمرينات .

جوليين : كلا ، كلا ، الأمر أخطر من ذلك ، عندى شىء فى القلب ، أنا متأكدة من ذلك . هات ، ضع يدك ... ليس هكذا ! ... **[ضحكة قصيرة]** بيير يتصنت على الطريق .

بيـــــيـــــر : **[يدخل يده تحت القميص]** كم شيئا تريدين ؟

جــوليـــين : ثلاثة ، بالإضـافـة إلى المعطف . ارتديت سـتـرة مـن الصـوف قـبل السـفر بالضبط .

بيـــــيـــــر : أنت تختنقين تحت كل هذه الملابس .

جــوليـــين : أختنق . إنها السترة الصوفية التى تخنقنى .

بيـــــيـــــر : اخلعيها .

جــــوليـين : أين ؟ هنا ! ؟

بيـــــيـــــر : ستجد شجرة ...

جــــوليـين : هل ترى شجرة ؟

بيـــــيـــــر : إذا كانت لديك الشجاعة ، انزعيها فى حقل الذرة ، وفى أثناء ذلك أقوم أنا بمراقبة الطريق .

جــوليـــين : وإذا رآنى المزارع .

بيـــــيـــــر : لا يوجد أحد .

جــوليـــين : أنت لا تعرف المزارعين ، فى ذات يوم ، عبر نيقولا حقلا لا أدرى حقل ماذا ، وقد تبعه المزارع فوق جرَّاره ! على العموم . لا تزعج نفسك ، لن تكون هناك مشكلة .

بيـــــيـــــر : نعود إذا شئت، فتخلعين هناك الصدرية الصوفية على الأقل.

جــوليـــين : تظن ؟... آه ، كلا ، أنا أشعر بالبرد فى الذراعين . كلا ، كلا ، إنها الفانلة.

[يستديران]

جــوليـــين : هل كان متزوجا بهذه الفتاة ؟

بيـــــيـــــر : من ؟

جـــوليـــين : أليكس .

بيـــــيـــــر : كلا .

جـــوليـــين : غريب أن ثلاثتهم غير متزوجين .

بيـــــيـــــر : نعـم .

جـــوليـــين : بالذات من هذا الجيل . شيء غير عادى .

ألـــيـكـــس : أنا تزوجتك وأنا فى الثالثة والستين .

جـــوليـــين : أنت لست مثالا ، انظر ، أليست هى التى هناك ؟

[بيير يلبس النظارة]

بيـــــيـــــر : أوه ، أوه !

جـــوليـــين : ماذا تفعل هناك ؟

بيـــــيـــــر : ربما تعطلت السيارة .

[يتوجهان تلقاء إيليزا]

(٤)

[المكـان الذى دفـن فيـه الأب]

[يظهر أليكس. يمسك فى إحدى يديه المقص وفى الأخرى ثلاث سيقان من العوسج الجاف الكستنائى اللون. ينظر إلى الأرض ، لحظة طويلة . وأخيرا يركع . لحظة]

ألـــيـكـــس : اسمع يا أبى . أنت مضطر لأن تستمع إلىَّ، فمنخراك الآن مليئان بالتراب، ولا تستطيع أن تصيح . الآن ، أنا

الذى أصيح وحدى ، ولن أكف عن الصياح . حينما أنظر إلى نفسى ، أشعر أننى عجوز صغير . أنا أصيح وأضطرب كالكلب الدوج ، شىء ما يقرصنى فى شفتى . وأنا فى سن الثانية عشرة صفعتنى لأننى كنت آكل فخذ دجاجة بيد واحدة . ودون سابق إنذار ، حتى لم تقل لى "كل بيديك الاثنتين" ، صفعتنى دون سابق إنذار . ولم يفتح أحد فمه، وصعدت أنا إلى حجرتى وبكيت طويلا. وجاء ناتان – لكنه كان قد فرغ من الآكل حينما جاء – وقال لى " هكذا هو ، لأن ماما ماتت " ، فأجبته قائلا : "دعنى وحدى ، فليمت هو الآخر ... "

[ظهر بيير ، توقف على بعد أمتار ، فى صمت]

أليكس : أنت هنا ؟

بيير : آسف ...

أليكس : جئت أنت أيضا للزيارة ؟

بيير : أنا أطيع ساقىَّ العتيقتين . دفعتانى ، فاستسلمت لهما .

[صمت]

بيير : هل هذه الزهور من أجله ؟

أليكس : كلا .

بيير : هذا يذكرنى بأمك . كانت دائما تعمل باقات جميلة من العوسج ، فى الصيف .

أليكس : نعم .

بيير : يؤسفنى أنهما لم يدفنا جنبا إلى جنب .

ألــيــكــس : أراد أن يكون هنا .

بيـــيـــر : أعرف .

ألــيــكــس : أنانية كبيرة .

بيـــيـــر : الضيعة كبيرة ، لست مضطرا للمجىء إلى هنا .

[بيير يجلس فوق جذع شجرة]

بيـــيـــر : ممكن أبقى ، أم أنك تفضل أن أذهب ؟

ألــيــكــس : كلا ، ابق .

[لحظة]

بيـــيـــر : كم عمرك الآن ؟

ألــيــكــس : ثلاثة وأربعون عاما .

بيـــيـــر : ثلاثة وأربعــون ... أنا شــاهدت مــولدك ، وأنت الآن فى الثالثة والأربعين... وأنا فى مثل عمرك ، كان كل شىء يبدو لى قد انتهى ، وولى ... نوع من الفردوس المستهلك .

ألــيــكــس : والآن لا ؟

بيـــيـــر : كلا ! ... كلا ، كلا ، الآن لا ...

ألــيــكــس : كم كان عمرى أنا ؟

بيـــيـــر : حينما كنت فى مثل عمرك ، كنت أنت فى العشرين .

ألــيــكــس : كنت تعيش فى نيويورك ...

بيـــيـــر : فى بوسطون ... كنت مـغـرمـا إلى درجـة الجنون بإحـدى الأمـريكيـات **[يضـحك]** كـان صـدغـاى منتـفـخـين مـثل سلطانيتى القهوة .

[أليكس يبتسم]

ألــيــكــس : أنا أذكر الأمريكية .

بيـــيـــر : هل رأيتها ؟

ألــيــكــس : كلا ، لكن " أمريكية " ، أو " أمريكانية " بيير ، كانت أسطورة فى العائلة.

بيـــيـــر : تظن ؟ استمر ذلك ستة أشهر . وفى نهاية الستة أشهر سافرت إلى فلوريدا مع صاحب مصنع معجون أسنان .

ألــيــكــس : ولكنك بقيت طويلا فى الولايات المتحدة .

بيـــيـــر : ثلاثة سنوات ... ولكن دون الأمريكية. كانت هناك أخريات، ولكن تلك كانت مختلفة ...

[لحظة قصيرة]

ألــيــكــس : كيف تفسر أن أبى لم يتزوج مرة أخرى ؟

بيـــيـــر : كان عنده ثلاثة أبناء . فلماذا كنت تريد أن يتزوج مرة أخرى ؟

ألــيــكــس : هل كانت له مغامرات ؟

بيـــيـــر : لم يصل إلى علمى . ممكن . **[لحظة]** مع مدام ناتِّى ، ربما .

ألــيــكــس : مدام ناتِّى ؟ مهذبة الأظفار ؟

بيـــيـــر : ليس عندى أى دليل ...

ألــيــكــس : مدام ناتّى !

بيـــيـــر : كانت جميلة جدا ، وجه مثلث لطيف . كان ناتان أيضا يشك فى الأمر .

ألــيــكــس : حقا ؟

بيـــيـــر : من المؤكد أننا نخون بعضنا .

ألـيـكـس : مدام ناتِّى ...

بيـــيـــر : لعلمك ، أبوك لم يكن كثيرا الـ... لم يكن ذلك يمثل اهتماما أساسيا بالنسبة له . حينما ماتت " ليلا " ، كان فى مثل سنك . أنا لم أشاهده فى شبابه ، لكنه بعد ذلك كان يعطينى دائما الانطباع بنوع من الزهد .

ألـيـكـس : الذى يستأثر بمهذبة الأظفار .

بيـــيـــر : كلا !... يعنى ، ربما . أرجو ذلك !

[الاثنان ينظران فى صمت إلى الأرض المغطاة حديثا]

[لحظة]

بيـــيـــر : لعلمك ، فى مثل لحظات الحزن هـذه - ستقول إنى أثير السخرية - ترد على شفتىَّ كلمات شاعرية ... بلاهة ، هه؟

ألـيـكـس : كلا ...

بيـــيـــر : بلى ، بلاهة ...

[صمت]

ألـيـكـس : تصور أغرب شىء ؟ ... أريد أن أطلب منه الغفران ... حينما كان مريضا ، كنت آتى وأجلس على فراشه ، لا أستطيع أن أجد الكلام ، وأردت مرة أن أمسك يده ، فحركها ليسوِّى الغطاء ... فلم ألح ... وقال لى " ماشى الحال فى النقد ؟... " " نعم ... " " تقرأ كتبا جيدة " " ... كان ثمة مرارة فى صوته ! ...

[صمت]

ألــيــكــس : هل تعتقد أننى سألقاه ؟... هل هذا يضحكك ؟
بيــــيــــر : ماذا إذن ؟
بيــــيــــر : أبدا... هى طريقة فى تعبير وجهك ذكرتنى بشىء... ببعض تعبيرات وجهك وأنت صغير ... هذا كل ما فى الأمر .
ألــيــكــس : تقصد أن فى مثل سنى لا توجه مثل هـــذه الأسـئلة ، هو ذاك ؟
بيــــيــــر : كلا ، كلا ، أبدا .
ألــيــكــس : بلى . أنت تبتسم بطريقة فيها شفقة ، كأنما ...
بيــــيــــر : أبدا ، أبـدا . مطلقا ، أنا لا أبتسم بطريقة فيها ... أو لا ، أنا لم أبتسـم ، أنا " تنهدت " ، كما يقال فى الأدب ... تنهدت وأنا أبتسم ... ثم إنك تغيظنى !
ألــيــكــس : ماذا قلت أنا ؟ أنا لم أقل شيئا .
بيــــيــــر : وأنا أقول أى حاجة . سامحنى .
[صمت]
ألــيــكــس : أنت لم تجب عن سؤالى ...
بيــــيــــر : هل تعتقد حقا أننى أستطيع أن أجيبك ؟
ألــيــكــس : أنت لديك فكرة . كل إنسان لديه فكرة .
بيــــيــــر : فكرة ... نعم .
ألــيــكــس : إذن ؟
بيــــيــــر : أعتقد أن السـؤال عـن لقائه لن يطـرح بعـد فـترة ... هذه فكرة ...
ألــيــكــس : حينما أموت ؟

بيـــيـــر : أوه كلا ! قبل ذلك بكثير !

ألـــيـكــس : ولكننى أريد أن تقول إننى سـألقاه قريبا ! حاجة بسيطة، وواضحة ، أنا أريد أن تقولى لى : "نعم . ستلقاه قريبا ." أنا أحتاج لهذا ! من الغريب أنك لا تفهمنى ! أنا أحتاج لهذا . قد يكون سخيفا ، لكننى أريد أن أسمع ، أريد أن يقال لى : " نعم ! ستلقاه ! "

[صمت]

بيـــيـــر : إننى أصرح لك بأننى فهمت تمام الفهم ...

ألـــيـكــس : هل تعرف ماذا كان يقول لى دائمـا ، وأبداً ! بالإضافة إلى الفكرة التى كانت مسيطرة عليه بأن أعمل فى وزارة الخارجية ، كان يقول لى : "يجب أن تستقر ! " تلك كانت كلمته المفضلة : " تستقر " ... كيف يمكن مواجهة حياة تشبه هذه الكلمة ؟

بيـــيـــر : حينما تراه ، اسأله عن ذلك .

ألـــيـكــس : نعم ... **[يحاول أن يبتسم]** لعلمـك ، هذه الأمور كلها هى التى ينبغى توضيحها ، وإلا ...

بيـــيـــر : نعم .

ألـــيـكــس : وإلا ... لم أكن أستطيع أن أقاومه . لم يكن يسـمـعنى ... أبدا ... لا أذكره مرة واحدة وهو يستمع لى دون ضيق ، دون تبرم ... بهدوء .

بيـــيـــر : نعم .

ألـــيـكــس : إذا لم ألقه ... **[يصمت ، عاجزا عن المواصلة]** .

بيـــــيـــــر : أنت لست فى حاجة لأن تتكلم ...

ألــيـكــس : لا أستطيع أن أقنع نفسى بهذه الفكرة ، فمهما ظننت بى ، هذه الفكرة مستحيلة اليوم ...

بيـــــيـــــر : نعم ... مؤكد .

[صمت]

ألــيـكــس : أنت تتمتع بصبر أيوب ...

بيـــــيـــــر : صحيح ؟

ألــيـكــس : نعم . أنت تتمتع بصبر أيوب .

بيـــــيـــــر : حسنا .

[صمت]

بيـــــيـــــر : قبل قليل ، قابلنا إيليزا على الطريق ... سيارتها تعطلت . كانت المسكينة كالمجنونة . وقد عدنا إلى القرية على الأقدام . واتصلنا هاتفيا بكل مكان ، لا يوجد أى ميكانيكى يريد أن ينتقل يوم السبت من توسان .

ألــيـكــس : هل هى هنا ؟

بيـــــيـــــر : وأين تريد أن تكون ؟ لقد أعدناها معنا ، كانت تريد أن تجلس على كرسى فى محل البقالة فى انتظار سيارة إصلاح من " جيان " لن تأتى أبدا .

ألــيـكــس : أنا لم أرها منذ ثلاث سنوات ...

بيـــــيـــــر : ثلاث سنوات ... كل هذه المدة ؟

ألــيـكــس : نعم .

بيـــــيـــــر : إيه نعم .

ألـيـكـس : لم أكن أتوقع أن ألقاها اليوم ...

بيـيـر : ربما ...

ألـيـكـس : كلا .

بيـيـر : أنت حتى لا تعرف ماذا كنت سأقول !

ألـيـكـس : بلى .

بيـيـر : إذن ، ماذا ؟

ألـيـكـس : هى لم تأت لمواساتى ، اطمئن . لم تأت من أجلى ... لقد جاءت احتراما للأعراف . احتراما للتقاليد البرجوازية .

بيـيـر : شىء سخيف .

ألـيـكـس : أليس كذلك ؟

بيـيـر : أنت السخيف !

[صمت]

ألـيـكـس : كيف يمكن أن تكون على هذه الدرجة من ...

بيـيـر : من ماذا ؟

ألـيـكـس : من التفاؤل .

بيـيـر : التفاؤل ... لا أعتقد أنك اخترت الكلمة المناسبة .

ألـيـكـس : أنت فهمت مقصدى . ترجم .

بيـيـر : أنت تريد أن تقول ، إننى أظهر فى الحياة نوعا من المزاج المعتدل ... نعم ... نعم ... ولكن حينما أموت ، لن يبكى أحد على قبرى البتّة .

[أليكس ينتحب]

[إظـلام]

(٥)

[فى مكان ما من الحديقة ، إيليزا و إيديت و جوليين تتنزهن]

جـــــوليين : من الذى يقوم برعاية الضيعة ؟ بستانى ؟

إيـــديـــت : لا أحد الآن . فيما مضى كان هناك بستانى . أما الآن ...

إيليـــزا : أنا أحب هذه الناحية ، بعيدة عن الأنظار .

إيـــديـــت : أنا أيضا . هذا هو الريف .

جـــــوليين : عندكم بستان فاكهة وخضراوات كبير ، خسارة ألا تستفيدوا منه .

إيـــديـــت : كنا دائما نستفيد منه . كان بابا يهتم به جدا .

جـــــوليين : رائع أن يأكل المرء من ثمار بستانه الذى يرعاه بنفسه . أو من خضراواته. على أية حال الخضاروات هى الغالبة .

إيـــديـــت : كان عندنا كرز وفراولة . لكن الفراولة لم تنجح كثيرا ، كانت مرة .

جـــــوليين : أنا لا أحب الفراولة كثيرا إلا إذا كانت بالسكر مع سلطة الفواكه . إيديت : نعم .

[لحظة]

جـــــوليين : كأننا فى الصيف حقا ! ارتديت صباح اليوم سترة من الصوف من باب الاحتياط ، ثم خلعتها عند عودتى ، فلم أستطع أن أتحملها .

إيــديــت : العشب جاف جدا ، فالمطر لم ينزل منذ أيام... يمكن أن نجلس فوق العشب ، إذا أردت ؟

إيليــزا : فلنجلس .

جــولين : فلنجلس .

[تجلسان . لحظة]

إيــديــت : الشعر القصير لائق عليك جدا .

أيليــزا : صحيح ؟

إيــديــت : يجعل لك رقبة جميلة ، رقيقة جدا ...

إيليــزا : أنت لطيفة .

جــولين : هل كان شعرك طويلا ؟

إيليــزا : نعم .

إيــديــت : كانت لها ضفيرة تزحف خلفها .

إيليــزا : حينما قصصتها ، كنت كالصلعاء ، كنت أشبه ابن السيدة فاشية . لم يكن مثل الآن .

إيــديــت : الآن جميل .

إيليــرا : نعم ، الآن معقول .

[صمت]

جــولين : بينما أنا أفكر في ... **[تفتش في حقيبتها]** هذه هي الصدرية الصوفية . دسستها في حقيبتي وإلا كنت سأنساها ... لا أظن أنك رأيتها ، لقد أحضرت لك صورة لوالدك التقطت في سان جان في أثناء الزواج ...

ولكن أين هى؟ ... آه ، هاهى ذى ! **[تقدم الصورة لإيديت]**
هى لك طبعـا . **[بصوت ملؤه الشجن]** أنا أجدها رائعة .

إيليـــــزا : جميلة جدا .

جـــــوليـين : أليس كذلك ؟ أجدها "حارَّة" . "حـارَّة" هذه هى الكلمـة ، أجدها مناسبة .

[إيديت تتأمل الصورة]

إيـــديـــت : ممكن أحتفظ بها ؟

جـــــوليـين : هى لك . لقد أحضرتها خصيصا .

إيـــديـــت : كأنه ناتان . التعبير .

إيليـــــزا : الابتسامة ، نعم ...

[لحظة]

إيليـــــزا : كان ذلك خلال زواجكما ؟

جـــــوليـين : نعم . قبل عامين . التاريخ خلف الصورة ... أنا دائما أسجل التاريخ على الصور ، وإلا لما عرفنا متى ولا أين .

إيليـــــزا : على العموم ، لا يمكن أن تنسى تاريخ زواجك .

جـــــوليـين : من يدرى ؟ لا طبعا . لكنها عادة عندى ، أسجل التاريخ على جميع أوراقى . المستندات ، الصور ، الإيصالات ، حتى البطاقات البريدية !

إيليـــــزا : هل عندك ألبوم ؟

جـــــوليـين : للبطاقات البريدية ؟ كلا !

إيليـــــزا : للصور .

جـــــوليـين : نعم ، طبعا . وأنت أليس عندك ؟

إيليـــــزا : كلا .

جـــــوليـين : ولا أنت ؟

إيـــديـــت : بلى ...

جـــــوليـين : أنا عندى خمسة ألبومات أو ستة. الأبناء ، والأحفاد ... هذه عقليتى ، عقلية النملة المحافظة .

[يبتسم . لحظة]

إيـــديـــت : أما زلت تقابلين زوجك الأول ، يا جوليين ؟

جـــــوليـين : الأول مات ، المسكين ، بسكتة قلبية وهو فى الخامسة والثلاثين .

إيـــديـــت : سامحينى ، لم أكن أعرف ذلك على الإطلاق .

جـــــوليـين : لا تعتذرى ، فأنت لم يكن من الممكن أن تعرفى ذلك . ثم تزوجت من طبيب أسنان وتطلقنا قبل ثمانى سنوات . لكننا ظللنا على علاقة طيبة ، ونتقابل من آن لآخر . بل وحينما تزوجت من بيير ، أرسل لى برقية تهنئة!

إيليـــــزا : ثلاثة أزواج . لقد تعبت من أجلنا ، لو جاز لى التعبير !

جـــــوليـين : فى يوم عيد ميلادى الثامن عشر ، تنبأت لى منجمة بارعة بأننى سأدخل الدير . لم أكن جميلة جدا . ولكن على أية حال ! وحينئذ ألقيت بنفسى فى معركة التحدى والمقاومة .

إيليـــــزا : وانتصرت ...

جـــــوليـين : **[متواضعة]** فى النهاية ، نعم .

[صمت]

[إيديت تتطلع بعيدا ، يغشاها ألم دفين . إيليزا وجوليين ترقبانها خلسة دون أن تجرؤا على الكلام]

إيـــديـــت : حينما كنت صغيرة ، كنت أعمل عقوداً من الزهور . وتيجانا من الزهور فوق رأسي ... في الربيع ، كانت الأرض هنا تغطى بالعقود والتيجان .

إيليـــــزا : أما زلت تقابلين جان ؟

إيـــديـــت : يعني ... أنا أتحدث عن الزهور وأنت تفكرين في جان ؟

إيليـــــزا : **[مبتسمة]** كلا ...

إيـــديـــت : حبيبي الخالد ...

[لحظة]

إيـــديـــت : تعرفين ماذا كان بابا يقول لي : " الشيء الذي نجحت فيه فعلا في حياتك ، العمل الوحيد الذي يحق لك أن تفخري به ، هو أنك لم تتزوجي جان ! "... كان يسميه السيد تسي تسي ... **[تبتسم]** ! كان غباءً ! كان غباءً بحيث كنت بعد لحظة أضحك رغماً عني ... **[تضحك رغما عنها]** ! "ادعى السيد تسي تسي ، فسيسلينا ! "

[تضحك . جولييت وإيليزا وجولين تقلدانها]

إيـــديـــت : مات بابا ، وبقي لي جان . وجان سافر إلى لندن ... وأنا صرت تفاحة قديمة جفت .

[صمت]

جـــوليـين : إذا كنت أنت تفاحة قديمة جفت ، فماذا أقول أنا ! ...

إيـــديـــت : أنت عندك أبناء ، وعندك أحفاد ، وعندك زوج ، وأسرة ... وتتزينين وترتدين الثياب ...

جـــولـيـن : لا شيء يمنعك من أن تتزينى وترتدى الثياب !

إيـــديـــت : لمن ؟

جـــولـيـن : ليس لأحد . لجميع الناس ... لنفسك .

إيـــديـــت : وددت لو كان ذلك لشخص معين ، أتجمل لشخص معين ... وأرتدى الثياب ، وهذا الشخص سيظهر بعد ذلك !... **[لإيليزا]** هل أنا أقول كلاما فارغا ، يا آنسة ؟

إيلـيــــزا : كلا ...

إيـــديـــت : عرفت رجلا . ذات يوم ... رئيسى فى العمل . رجل عادى جدا ... وذات مساء ، انتظرته بجوار سيارته ، وقلت له "أريد أن أبقى معك هذه الليلة"... فقال: "هذه الليلة كلها ؟" فقلت " نعم " ... **[لحظة]** لم أكن متزينة ولا أى شيء ... كنت كما أنا الآن ...

[صمت]

إيلـيــــزا : وبعد ؟

إيـــديـــت : لا أعرف لماذا أحكى لكم هذا .

إيلـيــــزا : ومع ذلك احكى ...

إيـــديـــت : ذهبنا إلى شقته . وقدم لى كأسا وانتهى كل شيء .

[صمت]

إيلـيــــزا : هل قابلته بعد ذلك ؟

إيـــديـــت : فى المكتب . لا أكثر . بعد ذلك سافر .

[صمت]

إيـــديـــت : في التاسعة والثلاثين ... كنت في التاسعة والثلاثين من عمـري ، ولم أكن أعرف شيئا ... لو كان هذا الرجل نظر إليَّ ، كان من الممكن أن أكون أكثر رقة وأنوثة ...

[صمت]

إيـــديـــت : في أثناء الجنازة، صباح اليوم – هذه الذكرى تسيطر على اليوم – تصورت أنه ظهر خلف شجرة ... وظل قليلا على حدة وهو لا يحوِّل نظره عني... النساء جميعهن يروين الحكايات نفسها. لا توجد أية ميتافيزيقيا في هذا الموضوع ...

إيليـــزا : هل أنت متأكدة ؟ ...

[لحظة قصيرة]

إيـــديـــت : لماذا جئت أنت ؟

إيليـــزا : أنت تعرفين .

إيـــديـــت : كلا .

إيليـــزا : ليكن ...

إيـــديـــت : حينما رأيتك تحضرين ، تصورت أنك مجنونة ...

إيليـــزا : هل ما زلت تتصورين ذلك ؟

إيـــديـــت : نعم ...

إيليـــزا : إذن ، لماذا تسألينني ؟

إيـــديـــت : **[مخاطبة جوليين التي تحاول أن تبدو طبيعية بالرغم من ضيقها وعدم فهمها المتزايد]** هذه المرأة ، يا عزيزتي جوليين ، أصابت أخويَّ بالجنون.

إيليــــزا : لا تبالغى .

إيــــديــــت : مولعين بالحب ، إذا شئت ! ... دعك من هذا الأسلوب . أنا لست عمياء ، كما تعرفين ...

إيليــــزا : أنت مخطئة. وددت لو أنك على صواب، لكنك على خطأ... **[مخاطبة جولبين]** . لو سمحت يا سيدتى ، سأوضح الأمر لك : كل ما هناك أننى عشت مع أليكس ، فى حين أننى "متيَّمة بحب" ناتان . هذا هو الموضوع ... ستعرفين أن الأمر مختلف .

[جولبين تبتسم بأدب]

إيــــديــــت : هل كنت عشيقته ؟

إيليــــزا : ليلة ...

إيــــديــــت : وهل أليكس يعرف ؟

إيليــــزا : كلا ، لا أعتقد ... ليلة حب وفراق ... **[تبتسم]** كما حدث بينك وبين رئيس المكتب ... وأنت ، أليس لديك ليال تروينها لنا يا جولبين ؟ هل أستطيع أن أدعوك جولبين ؟

جــــولبين : كلا... نعم ، تستطيعين طبعا أن تدعونى جولبين... ولكن ليس عندى ليال ... يعنى ليس عندى ليال أو ... عندى ليالٍ بطبيعة الحال ، لكن ليس عندى ليالٍ من هذا النوع ... أنا أعبر بطريقة سيئة للغاية .

[تخرج منديلا وهى مضطربة للغاية]

إيــــديــــت : نحن فى منتهى السفالة معك .

جــــولبين : أوه كلا . مطلقا .

إيليـــــزا : هى على حق . سامحينى .

جـــــولين : عفوا ، ليس هناك ما يدعو لذلك . أنا لست بعد فى موقف السيارات العتيقة، حتى لو كان ذلك يبدو على مظهرى .

إيليـــــزا : ليس هذا مـا قـصـدت إليـه ! ثم إنك لا تتـركـين هذا الانطباع مطلقا .

جـــــولين : كنت أفـرح . **[لحظة قـصـيـرة]** وددت يا إيديت أن أقـول تعليقا بسيطا ، مع أن موقفى كمستمعة غير متعمدة قد لا يسـمح لى بهذا الخـاطر، لكننى أجد أنه من الطبيـعى جدا ، فى يوم كهذا ، أن نتعلق بذكريات معينة . "نتعلَّق" كلمة سيئة ، ليست هى الكلمة التى أردت أن أقـولها ... ماذا نقول حينما يصطدم شخص ... يرتطم ؟

إيـــديـــت : لقد ارتحت لأنك أثرت هذا الموضوع . والآن لم أعد أفكر فيه بالمرة .

[صمت]

[يظهر ناتان ، يحمل فى يده سلة مشتريات يظهر منها جزر وسيقان بعض الخضروات . يتوقف ويسجل لحظة قصيرة مندهشا]

نـــاتـــان : أنت رجعت ؟

إيليـــــزا : سيارتى أصابها عطل . المفروض أن يأتى من سيصلحها الساعة السادسة. ألم ترها ؟

نـــاتـــان : لم أتخذ هذا الطريق، فأنا قادم من "دامبيير". ماذا بها ؟

إيليـــــزا : تسألنى أنا ؟

نـــاتـــان : هل تحبين أن ألقى عليها نظرة ؟
إيليـــزا : تفهم فى الموضوع ؟
نـــاتـــان : كلا . مطلقا .
إيليـــزا : البقال يقول علبة الأوتوماتيك
نـــاتـــان : [بابتسامة] السيد فاشية خبير !... لقد أحضرت ما يكفى لإعداد حساء خضار باللحم، تفضلن معى أيتها النسوة .
[ينصرف خلف ناتان]
[إظـلام]

(٦)

[الشـرفـة]

[يظهر ناتان ومن ورائه مباشرة إيديت وجولين وإيليزا . يضع السلة ويفرغ ما فيها فوق المنضدة]
نـــاتـــان : جزر ولحم وعظم بالنخاع وبقدونس وطماطم ...
إيـــديـــت : لا يوضع الطماطم فى حساء الخضار .
نـــاتـــان : نضـعـه مـرة ... ومـخلل وبطاطس ولفت ! هـذا يكفى ؟ أرجو أن تبقوا للعشاء ؟
جـــولـيـن : بكل سرور ، إذا لم يكن بيير يرى عكس ذلك .
نـــاتـــان : أين هو ؟

جـــــولـيـن : ذهب إلى مكان ما مع أخيك على ما أظن . يمكننى أن أقشِّر الخضار إذا أردتم ؟

نـــاتـــان : يمكننا أن نقشره هنا معا ، أليس كذلك ؟ فلنستغل وجود الشمس .

إيـــديـــت : وأنا سأقطع اللحم . سأحضر السكاكين .

[تخرج حاملة اللحم والبقدونس ووعاء المخلل]

نـــاتـــان : **[مخاطبا إيليزا]** هل ستبقين ؟

إيـليـــزا : كلا .

نـــاتـــان : لا تكونى حمقاء ، كيف تسافرين ؟

إيـليـــزا : لا أعرف . إذا كانت السيارة معطلة فعلا . فسآخذ القطار . لابد أن يكون هناك قطار فى " جيان " .

جـــــولـيـن : أبقى ، وسنوصلك .

إيـليـــزا : لا أعتقد ، متشكرة .

نـــاتـــان : على أية حال ستساعديننا فى التقشير ؟

إيـليـــزا : **[تبتسم]** . طبعا ... لقد اشتريت ما يكفى فرقة بأكملها .

نـــاتـــان : ليست عندى أية فكرة عن الكميات ... لقد طلبت من المرأة البائعة أن تعطينى كل ما يجب من أجل إعداد الحساء ، وهى التى وضعت الطماطم . ألا يوضع الطماطم فى الحساء ؟

إيـليـــزا : من حيث المبدأ ، لا .

جـــــولـيـن : ممكن نعمل كمية صغيرة من السلاطة ، تكون لطيفة .

نـــاتـــان : هكذا .

[تصل إيديت حاملة أوراق صحف ، وسكاكين ومصفاة .
تضع الكل فوق المنضدة بجوار الخضار]

إيـــديـــت : سأضع الماء ليغلى ، ثم أعود .

[تنصرف]

[إيليزا وناتان وجوليين يفرشون الأوراق فوق المنضدة ويجلسون ويبدءون فى التقشير]

جـــوليين : أليس عندكم مقشرة ؟ على العموم سكين عادى ممكن يؤدى الغرض ، وبسرعة أيضا .

نـــاتـــان : هل تحبين أن أذهب لأرى ؟

جـــوليين : كلا . كلا . لا تزعج نفسك . هذه عملية بسيطة . أنا سأتصرف .

[يظهر بيير يتبعه أليكس]

بيـــيـــر : ماذا أرى ! ماذا أرى !

جـــوليين : هل تساعدنا يا عزيزى ؟

بيـــيـــر : معقول ؟

ألـيـكـس : ما هذا ؟

نـــاتـــان : حساء .

[بيير يجلس إلى المنضدة . أليكس يظل واقفا ، جامدا]

بيـــيـــر : **[مخاطبا إيليزا]** أنا رهيب فى مثل هذه الأعمال .

ألـيـكـس : **[مخاطبا إيليزا]** سيارتك معطلة ؟

إيليـــزا : نعم .

ألـيـكـس : هل استدعيت ميكانيكيا ؟

إيليـــــزا : نعم ... سيأتى حوالى الساعة السادسة .
ألـــيــكـــس : ماذا بها ؟
نـــــاتـــــان : السيد فاشيه يقول علبة الأوتوماتيك .
ألـــيــكـــس : آه ، حسنا ... أنت عندك أوتوماتيك ؟
إيليـــــزا : **[تبتسم]** – نعم ...
ألـــيــكـــس : حسنا ، هذا يكون عمليا فى المدينة ، هه ؟
إيليـــــزا : نعم ...
ألـــيــكـــس : عملى . جيد ... **[لحظة]** وأين إيديت ؟
نـــــاتـــــان : فى المطبخ . ستأتى الآن .
ألـــيــكـــس : طيب ... فلنقشر !...

[يجلس إلى المنضدة ويمسك لفتة]

[صمت . تصل إيديت]

إيـــــديـــــت : آه ، كلكم هنا ؟
بيــــيـــــر : أنا شخصيا أراقب فقط .
إيـــــديـــــت : ممكن تعطينى مكانا بجوارك فى الشمس ؟
بيــــيـــــر : تعالى ، تعالى ، تعالى !
جــــوليـين : أنا أردِّد منذ الصباح ، لم أر مثل هذا الجو فى نوفمبر .
ألـــيــكـــس : هذه اللفتة عفنة .
جــــوليـين : يجب أن أعترف بأن اللفت ليس ممتازا **[إلى ناتان]** أنت لست مسئولا عن ذلك !
نـــــاتـــــان : مؤكد أننى لا أشعر بأننى مسئول فعلا .
جــــوليـين : على أية حال أنت تقوم بهذا العمل كمحترف حقيقى .

نـــاتـــان : تعتقدين ذلك ؟

ألـيـكـس : أخي محترف كبير ، يا جوليين ، في كل شيء ، وفي كل مادة . إنه ما يمكن أن أطلق عليه النموذج الكامل للمحترف .

نـــاتـــان : طبعا هذا ليس مديحا كما تفهمون .

ألـيـكـس : لماذا ؟ هذا مديح ... **[يأخذ لفتة أخرى]** الكلمات وحدها هي التي تتغير مع الزمن... حينما كنت طفلا ، كان جميع أبطالي يشبهون ناتان : سندباد، دارتانيان ، توم سوير ، أفضلهم عندي كان ناتان ... ناتان الساطع، الذي لا يقهر، المثالي بين جميع النماذج ... عفنة هذه الأخرى . **[يلقي باللفتة ويأخذ حبة بطاطس]** في سن العاشرة كان يعزف كونشيرتو بيانو في حجرة الاستقبال . كانت الأسرة كلها تنصت إليه في خشوع ديني .

جـــولـيـين : هل ما زلت تعزف ؟

نـــاتـــان : مازلت أعزف . لكنني لا أعزف في حفلات .

ألـيـكـس : نعم... هذه خسارة. أنا كنت في وقت ما أعزف على الناي... **[ضحكات]**

ألـيـكـس : كلا ، كلا ، هذا صحيح ! على " ألكينا " ، وهو نوع من البامبو المجوف له فتحات ، اشتريته في المترو .

إيـــديـــت : لا أذكر أنني سمعتك تعزف .

ألـيـكـس : صحيح ؟ ولا حتى أنا ، تصوري . لم أستطع أن أخرج صوتا واحدا .

بيـــيـــر : أهذا هو الذى تسميه عزفًا على الناى ؟
ألـيـكـس : بلا مـشكلة . تضع إسطوانة من نوع مـاشـو كـامبـوس وتعـزف معهـم أمـام المرآة .
نـــاتـــان : بالبنش الأحمر ...
ألـيـكـس : نعـم وبغطـاء الرأس ذى الثـقـبـين الذى كـان يليـق علىَّ جدا ... بابا قاد أكبر أوركسترات العالم بهذه الطريقة .
إيليـــزا : بالبنش ؟
ألـيـكـس : كلا . بالمنامة ... أخبرونى ، هل الخضراوات تتقلص فى الغليان ؟ عندنا هنا ما يكفى لستة أشهر !
إيـــديـــت : ليس من الضرورى أن نضع كل شىء .
ألـيـكـس : ستبقى على العشاء ؟ أقصد ستبقى هذه الليلة ؟
بيـــيـــر : إذا وافق الجميع ، أفضل أن أسافر صباح الغد .
إيـــديـــت : غرفتك جاهزة ، يمكنك حتى أن تبقى إلى يوم الاثنين .
بيـــيـــر : لا ، لا ...
جـــولـيـن : لم أحضر معى فرشاة أسنان ولا قميصًا للنوم .
بيـــيـــر : حاجة شيك ؟
جـــولـيـن : اسمع !...
نـــاتـــان : ستجدين كل ما تريدين هنا .
جـــولـيـن : شكرا جزيلا .
إيليـــزا : يجب أن أتصل هاتفيا بمحطة السكك الحديدية .
إيـــديـــت : اليوم السبت ... هناك قطار الساعة الثامنة .
نـــاتـــان : سأرافقك .

إيليـــزا : شكرا ...

إيـــديـــت : ستوب ! هذا يكفى . لا داعى لتقشير الباقى ، فلا أعرف ماذا سأصنع به لو قشر .

[تنهض وتشرع فى رفع الأشياء . إيليزا وجوليين وبيير يقلدونها . ناتان يغادر المنضدة ويبتعد ليدخن سيجارة . أليكس وحده يبقى جالسا]

جـــوليين : **[مخاطبا ناتان]** هل تعرف ماذا نسيت ؟ ولكن لا أهمية لذلك : بصلة !

نـــاتـــان : آه فعلا . أسف .

جـــوليين : أنا أمزح معك . ولكنها تعطى نكهة لطيفة .

نـــاتـــان : نعم ، نعم .

[ذهاب وإياب . يختفون حاملين الخضراوات والمقشرة إلى الداخل . يظل أليكس وناتان . لحظة]

ألـيـكـس : " تعطى نكهة لطيفة ! "

[تظهر إيديت من جديد لتأخذ ما تبقى من الأوعية]

نـــاتـــان : ألم تعودوا بحاجة لى ؟

إيـــديـــت : كلا ، كلا ، ليس هناك ما يجب عمله ...

[تأخذ السكين وحبة البطاطس وكان أليكس ما يزال ممسكا بهما ، ثم تخرج . ناتان يبتعد فى الحديقة . أليكس وحده .

[إظـلام]

(٧)

[المكان المدفون فيه الأب. ناتان واقف جامد يداه فى جيبه. على الأرض توجد سيقان العوسج ، وعلى مقربة المقص]

[دون ضوضاء تظهر إيليزا كأنها لا تجرؤ على الاقتراب. لحظة طويلة قبل أن يتكلم]

نـــاتـــان : قبل أسبوعين ، ذهبت إلى غرفته ، لم يكن يستطيع أن ينهض... طلب منى أن أحضر له الإلكتروفون **[جهاز الشحنات الكهربية]** ومكبرات الصوت، هكذا كان تعبيره... وقد وصَّلت كل شىء بجوار فراشه . كان يريد الاستماع إلى السوناتا قبل الأخيرة لبيتهوفن ، جزءًا منها بالذات ... وقد استمعنا إليها فى صمت. كان قد وضع إصبعه حتى لا أتكلم . كنت جالسا فوق الفراش . وحينما توقفت الأسطوانة ، قال لى : " وأنا مقتنع أننا سوف نلتقى "فسألته" من ؟ "فقال بيتهوفن، العبقرية المثالية ، الرجل الذى يهدى إليك هذا الإيحاء، لا تتصور مع ذلك أنه مات!" على العكس من أليكس ، أنا سعيد جدا لأنه دفن هنا .
[صمت]

إيليـــــزا : من الذى أخذ هذا القرار ؟

نـــاتـــان : هو نفسه . كان لا يريد المدفن ، ولا الجنازة ... ومنذ خرج إلى المعاش كان يسكن هنا .

إيليـــــزا : وحتى وهو مريض ؟

نـــاتـــان : نعم ، كانت معه ممرضة طول الوقت .

[لحظة]

إيليـــــزا : وأليكس ؟

نـــاتـــان : كان معه ؟

نـــاتـــان : كان يأتى فى المساء ... على مضض فى أغلب الأحيان ، المسكين كان يحضر كتبًا حينما أصبح بابا عاجزا عن القراءة ، واستقر هنا فى الأيام الأخيرة ، حينما أصبح بابا لا يتعرف على أحد ... أنت تغيرت .

إيليـــــزا : تقدمت فى السن .

نـــاتـــان : كلا ، نعم ، ربما .

[صمت]

إيليـــــزا : أ ما تزال فى " نانتر " ؟

نـــاتـــان : كلا . لقد سجلت فى مكتب باريس .

إيليـــــزا : حسنا .

[لحظة]

نـــاتـــان : وأنت ؟

إيليـــــزا : لا جديد .

نـــاتـــان : يعنى ؟

إيليـــــزا : لا شىء ... حياتى لم تتغير .

[لحظة]

نـــاتـــان : ما تزالين تسكنين فى آخر الدنيا ؟

إيليـــــزا : نعم .

نـــاتـــان : شارع سان بيرنار .

إيليـــــزا : نعم .

نـــاتـــان : سكن مناسب ...

[تبتسم]

نـــاتـــان : لطيف منك ما قلته لى قبل قليل

إيليـــــزا : شكرا للكلمة ...

نـــاتـــان : ماذا تريدين أن أقول ؟

إيليـــــزا : لا شىء ...

نـــاتـــان : سيارتك تعطلت كما يحدث فى الروايات .

إيليـــــزا : أقسم لك أن هذا صحيح .

نـــاتـــان : ولكننى أصدقك . فى رأيى ، أنه هو من فوق السماوات السبع . الذى دبَّر هذا الأمر فى المحرك .

إيليـــــزا : دعك من هذا الكلام الفارغ .

نـــاتـــان : أبدا . لقد صنع ذلك ليلقى السرور فى نفسى .

[لحظة]

إيليـــــزا : هل يسرك أن أكون هنا ؟

نـــاتـــان : ما رأيك أنت ؟ ... أليكس نسى المقص ...

[صمت . ناتان يرفع المقص ويضعه فى جيبه]

نـــاتـــان : لماذا جئت ؟

إيليـــــزا : الآن ؟

نـــاتـــان : اليوم .

إيليـــــزا : بل سلنى كيف تمكنت مـن المجىء . لم أعمـل فـى حياتى شيئا ضـد العقل مثل هذا .

[صمت]

إيليـــــزا : هل تريد أن أتركك ؟

نـــاتـــان : كلا. لا أريد أن تتركينى ... **[لحظة]** . أنت أصبحت محرَّمة أكثر من أى وقت مضى ، يا إيليزا . لكن اليوم لا أريد أن تتركينى ... **[لحظة]** أنت تعرفين فيما أفكر ؟ عمل ضدَّ العقل ... إننى أريدك هنا فوق القبر ... أطرد ألما بألم آخر.

[تقترب منه كثيرا]

إيليـــــزا : وددت أن أكون ألمك ، يا ناتان .

[يعانقها بعاطفة ويبدأ فى نزع ملابسها]

[إظـلام]

(٨)

[الشـرفـة]

[أليكس ما يزال جالسا إلى المائدة . تظهر جوليين ، على عجل]

جـــــوليـين : أين إيليزا ؟

ألـــيـكـس : تلاطف أخى .

جـــــوليـين : عفوا ؟ !

ألــيـكــس : تلاطف أخي .

جـــولـيـين : لا أفهم .

ألــيـكــس : بل أنت فهمت جيدا يا جوليين . أنت لست صماء .

جـــولـيـين : ولكن أين ؟

ألــيـكــس : آه ! آه ! آه !... أنا أعشق هذا السؤال ! آه ! آه !... ومع ذلك فأنت متعجلة جدا .

جـــولـيـين : ليس هذا ما قصدت إلى قوله !... أردت أن أقول إنك هنا ... وبما أنك هنا وأنني أخرج من المنزل ... أوه أسكت !

[تنصرف منفعلة جدا . تصل إيديت]

إيـــديـــت : أين إيليزا ؟

ألــيـكــس : ليس عندي فكرة .

إيـــديـــت : ألم ترها تخرج ؟

ألــيـكــس : بلى ، لقد مضت من هنا ...

إيـــديـــت : بيير على الهاتف مع الميكانيكي . يقول إنه لا يستطيع أن يأتي قبل صباح الاثنين .

[أليكس يهز كتفيه]

إيـــديـــت : ماذا نفعل ؟

ألــيـكــس : استدعوا آخر ...

إيـــديـــت : هذا هو الوحيد الذي يستطيع . على أية حال ، لا أحد يقوم بأي إصلاح يوم الأحد ! ... ماذا نفعل ؟ هل نوافق على يوم الاثنين ؟ وإذا سافرت مساء غد ، فلمن تترك المفاتيح ؟

ألــيــكــس : افعلى ما تريدين ، أنا خارج عن الموضوع تماما .

إيـــديـــت : يمكن أن نتركها مع فاشيه ، فهو يعرف مكان السيارة . ألا يقفل صباح الاثنين ؟

ألــيــكــس : لا أعرف شيئا . ولا يهمنى ذلك .

إيـــديـــت : شكرا لمساعدتك .

[تنصرف]

ألــيــكــس : بإمكانها أن تدبِّر حالها بمفردها ؟ !... تزعجنا بسيارتها القديمة العفنة !!!

[يبقى لحظة جالسا وحده . ثم ينهض ، يدور حول نفسه ثم يتقدم عدة خطوات فى اتجاه الغابة]

[يظهر بيير]

بيـــيـــر : إلى أين ؟

ألــيــكــس : هيم ؟!

بيـــيـــر : ستمطر .

ألــيــكــس : هل تعتقد ؟ نعم ...

بيـــيـــر : الجو صاعق . لذلك كانت هذه الحرارة الشديدة .

ألــيــكــس : نعم ...

[لحظة]

بيـــيـــر : هل تريد سيجاريللو ؟

ألــيــكــس : أنت تدخن السيجاريللو ؟

بيـــيـــر : مرة كل ستة أشهر ... **[يقدم العلبة إلى أليكس الذى يأخذ منها واحدة]** هدية من بوابة بيتى . سيجاريللو إسبانى ، هل تحب هذا ؟ **[أليكس يسعل]** قوية ، أليس كذلك ؟

ألــيــكــس : **[يسعل ويضحك]** مقرفة !

بيـــيـــر : نعم .

ألــيــكــس : مثل الـ ...

بيـــيـــر : جبن البون ديفيك ... نتعوَّد عليها ...

ألــيــكــس : متى ستسافر ؟

بيـــيـــر : صباح غد . هل هذا يضايقك ؟

ألــيــكــس : كلا ، كلا ... هل تعرف شـيـئـا أكثر حـزنا من الريف فى الخريف؟... السكون... لا شىء يتحرك ... أنا أكره الريف ... لو كان الأمر يقتصر علىَّ ، لبعت كل شىء ... غدا .

[يتمشى وهو يدخن . بيير يبقى جامدا]

ألــيــكــس : ناتان يعشق الريف .

بيـــيـــر : أنت تظلم ناتان كثيرا .

ألــيــكــس : لماذا ؟ لأننى أقول إنه يحب الريف ؟

بيـــيـــر : ليس هذا فقط ...

ألــيــكــس : هل هذا عيب فى رأيك ؟

بيـــيـــر : فى رأيى ، لا .

ألــيــكــس : ناتان يتنزه ، يمشى وحـده ساعات وساعات ... **[لحظة]** يتأمـل بيـن الأشجار ...

بيـــــيـــــر : بينما أنت تختنق فى اضطرابات دوامة الحياة ...

[اليكس يبتسم . لحظة قصيرة]

بيـــــيـــــر : كل ما تسيء أنت عمله، هو يحسن عمله... كل ما لا تحبه، هو يرضى به ... من يسمعك ، يجد أنه أفضل إنسان فى الوجود ، وأقل الناس إنسانية ...

ألـــيـكـــس : أقل إنسانية ؛ كلا ...

بيـــــيـــــر : نعم . موهوب ، عميق ، ثابت لا يتزعزع ... إن مديحك ، مديح الأفعى السامة ذات الجرس ... لا أحد يقاوم ذلك ، صدقنى ...

ألـــيـكـــس : **[بعـد لحظـة وكأنه يسترد أنفاسه]** أنت عنيـف جـدا يا بييرو . ولكنك لا تدرك معنى ما تقول ...

بيـــــيـــــر : كالعادة ، أنت تعرف جيدا ... هل تشعر بالبرد ؟

ألـــيـكـــس : أكاد أتجمد من البرد .

بيـــــيـــــر : هل تحب أن نرجع ؟

ألـــيـكـــس : كلا .

[صمت]

ألـــيـكـــس : قبل ثلاث سنوات . تركتنى إيليزا . الجميـع اعتقـدوا فى ذلك الوقت أننى أبله . أبله ، أعمى . أما هو فقد فعل كل شىء حتى لا يراها . حبا لى ، على ما أعتقد ... ابتعد ... كما عزف عن الموسيقى وكما عزف عن الشهرة ، والجنون الذى كان به ، وبطولته ... أنا لم أحب فى حياتى أحداً مثله . لو مات ناتان ، لا يمكن أن تتصور كيف ستكون

وحدتى ... ربما وجدته اليوم ... مرة أخرى هو لا يقول شيئا . خرج ليتسوَّق للعشاء ... وعاد حاملا طنًا من الخضراوات وبدأ الجميع يقشرون فى الشمس بسببه ، بسببه هو فقط ...

[تظهر إيديت ، صمت]

ألــيــكــس : ماشى الحال ؟

أيـــديـــت : نعم ... **[لحظة]** عمَّن كنتما تتحادثان ؟

بيـــيـــر : عن ناتان .

إيـــديـــت : ماذا كنتما تقولان ؟

ألــيــكــس : أنت أيضا تحبين الريف ؟

إيـــديـــت : سؤال غريب !

ألــيــكــس : ألا ترين أنه حزين ؟

إيـــديـــت : اليوم ، ربما .

بيـــيـــر : مع هذا النور المفاجئ ...

إيـــديـــت : سينزل المطر بعد قليل .

بيـــيـــر : هذا بالضبط ما كنا نقوله .

إيـــديـــت : كن لطيفا ، لا تحاول أن تعاملنى على أننى بلهاء .

بيـــيـــر : لماذا ؟ هذا صحيح . هذا بالضبط ما كنا نقوله .

[لحظة]

ألــيــكــس : هل سوَّيتم موضوع السيارة هذا ؟

بيـــيـــر : نعم.. قلت للرجل أن يأتى يوم الاثنين. ماذا تصنع زوجتى؟

إيـــديـــت : تشاهد التلفزيون .

بيــــيـــــر : وماذا يعرضون ؟

إيــــديــــت : لست أدرى . منوعات . لست أدرى .

بيــــيـــــر : حسنا ... لم أكن أعرف أن عندكم تليفزيونًا هنا أيضا ، هل هو جديد ؟

إيــــديــــت : من سنة ونصف تقريبا . أحضرناه من أجل بابا .

بيــــيـــــر : آه ! نعم ، طبعا ...

[صمت]

إيــــديــــت : وضعت كل شيء على النار . وضعت كل شيء فى ثلاثة قدور . سنأكل الباقى غدا ... ممكن سيجارة ؟

ألــيــكــس : لا أنصحك .

إيــــديــــت : لماذا ؟

بيــــيـــــر : لا تسمعى له . **[يقدم العلبة إلى إيديت]** خذى .

إيــــديــــت : ليست جيدة ؟

ألــيــكــس : هى " غير عادية " .

إيــــديــــت : **[تدخن]** – لا بأس بها .

[ينظران إليها وهى تدخن]

إيــــديــــت : لا تنظران إلىَّ هكذا . **[تضحك]** أشعر كأنكما أعطيتمانى سما وتنتظران أن أموت !

ألــيــكــس : أنت لست بعيدة جدا ...

[يظهر ناتان ومن ورائه إيليزا . يمسك المقص وسيقان العوسج التى قطعها أليكس]

[صمت]

ألـــيــكـــس : نزهة جميلة ؟
نـــــاتـــــان : أنت الذى قصصت هذه السيقان ؟
ألـــيــكـــس : كان بإمكانى أن أتركها عامداً ...
نـــــاتـــــان : والمقص أيضا ؟ ... فى غمرة الشك ، أخذت كل شىء .
[لحظة قصيرة]
ألـــيــكـــس : [مخاطبا إيليزا] كنتما معا ؟
نـــــاتـــــان : نعم . لماذا ؟
ألـــيــكـــس : يمكن للمرء أن يسأل سؤالا . لماذا " لماذا " ؟
بيـــــيـــــر : [مخاطبا إيليزا] تكلمت مع الميكانيكى فى الهاتف .
إيليـــــزا : كم الساعة الآن ؟
بيـــــيـــــر : اطمئنى ، اطمئنى ! لا يستطيع أن يأتى مساء اليوم . اتفقنا أن يأتى صباح الاثنين .
إيـــديـــت : بما أنه لن يكون هناك أحد هنا ، فقد رأيت أن نترك المفاتيح عند البقال ... هل عندك حل آخر ؟
إيليـــــزا : أنا آسفة لإزعاجكم بهذه القصة .
بيـــــيـــــر : الإزعاج لك أنت؛ ولا تنسى أنك ستضطرين للعودة لأخذها .
إيليـــــزا : نعم .
بيـــــيـــــر : نرجو ألا يكون الأمر خطيرا .
إيليـــــزا : نعم .
ألـــيــكـــس : هى ليست هنا ...
إيليـــــزا : ماذا ؟
ألـــيــكـــس : أنت لست هنا ، يا إيليزا . هل أنا مخطئ ؟

نــــاتــــان : نحن جميعا لسنا هنا اليوم . أليس كذلك ؟

ألــيــكــس : أكيد .

نــــاتــــان : هناك أوقات لا نعبأ فيها بموضوع سيارة ...

ألــيــكــس : آه ، أنا شخصيا ، لا أعبأ إطلاقا .

نــــاتــــان : حسنا ، وهى كذلك ..

ألــيــكــس : أحسن ! **[لحظة]** هذا لطيف جدا من بيير وإيديت !

إيــــديــــت : **[مخاطبة إيليزا]** لا تسمعى له .

إيليــــــزا : هما يتحدثان بالنيابة عنى . أنا لم أقل شيئا .

نــــاتــــان : كيف حال حسائى ؟

إيــــديــــت : ينضج على النار .

نــــاتــــان : المطر سينزل بعد قليل .

إيليــــــزا : **[مخاطبة بيير]** أين زوجتك ؟

بيــــيــــر : فى الداخل . تشاهد التلفزيون .

نــــاتــــان : لماذا لا ننضم إليها ؟

بيــــيــــر : فكرة ممتازة ، بشرط أن نغلق الجهاز ... **[إلى إيليزا]** هل تصاحبيننى ؟

[إيليزا تتقدم نحو بيير الذى يقودها نحو البيت . ناتان يتأهب ليتبعهما حينما أوقفته إيديت]

إيــــديــــت : ممكن تنتظر لحظة ؟ عندى شىء أقوله لك .

ألــيــكــس : هل أضايقكما بوجودى ؟

إيــــديــــت : نعم ، لو سمحت ، لن أطيل .

[أليكس يتردد . يتقدم عدة خطوات ثم يعود]

ألــيــكــس : **[مخاطبا إيديت]** بالمناسبة ... عرفت شيئا عن بابا قبل
قليل . وأعتقد أنه سيسركما معرفته أنتما أيضا .

إيـــديـــت : ماذا ؟

ألــيــكــس : سليه هو .

[يقترب من ناتان ويهمس فى أذنه . ناتان يبتسم]

ألــيــكــس : **[مخاطبا إيديت]** كل شخص لديه أسراره ... **[يتراجع]**
أنا فى غرفتى . إذا كان أحد يريدنى .

نـــاتـــان : **[مشيرا إلى العوسج]** ماذا أصنع بهذه ؟

ألــيــكــس : ألقها .

[يختفى . إيديت وناتان يبقيان وحدهما]

إيـــديـــت : قل لى .

نـــاتـــان : أنت أولا .

إيـــديـــت : تمطر ...

نـــاتـــان : كلا ...

إيـــديـــت : نعم، أحسست بنقطة... هل تساعدنى فى تنظيم الكراسى؟

نـــاتـــان : ماذا هناك ؟

[لحظة]

إيـــديـــت : هل كنت مع إيليزا ؟

نـــاتـــان : نعم .

إيـــديـــت : هل لحقت بك ؟

نـــاتـــان : نعم .

إيـــديـــت : أليكس قال لجولبين إنك كنت تلاطف إيليزا . أنا أنقل حرفيا .

نــــاتــــان : هل هذا ما كنت تريدين أن تقوليه لي ؟

إيـــديـــت : نعم .

نــــاتــــان : وبعد ؟

إيـــديـــت : كيف وبعد ؟

نــــاتــــان : وبعد ؟

إيـــديـــت : وبعد ، ترى هذا مناسبا !

نــــاتــــان : مناسبا كيف؟ هل الجملة هي التي تضايقك، أم مضمونها؟

إيـــديـــت : أنت رهيب ...

نــــاتــــان : اسمعيني يا إيديت ، حتى الآن هذا اليوم يسير دون مشاكل ، إذا جاز لي التعبير ... دعي هذه الكراسي !... نحن قوم متحضرون، نقاسي من القواعد ، كل منا يمسك أنفاسه ، ليس هناك مأساة ... لماذا في الواقع ؟ لست أدري ، ولكن هذه هي الحقيقة . أنا وأنت نشارك في عبء الكرامة هذا ... نحن رزينون ، " وجهاء " ، نحن كاملون ... أليكس ليس أقل تحضرا ، لكن كبرياءه بعيد ... بعيد .

إيـــديـــت : لماذا تدافع عنه ؟

نــــاتــــان : أنا لا أدافع عنه...فليذهب ويخبر جوليين المسكينه أنني ألاطف إيليزا ، هذا جزء من طبيعته ، ولكن أن ترددي أنت ذلك على مسامعي ، وعلى حدة ، كأننا في مدرسة ، كطفلة ، وأن يشغلك هذا ، اليوم ، لست أفهم .

[صمت]

إيـــديـــت : لقد رددت لك ذلك لكي تعرف عقلية أليكس ... كانت مجنونة بحضورها اليوم .

نــــاتـــــان : كلا .

إيـــديـــت : نعم .

نــــاتـــــان : كلا ، كلا . أنت رددت لى ذلك من باب الفضول. لأنه كان عندك شك ... **[يقترب منها ويأخذها بين ذراعيه]** أين ؟ **[يقبلها ويداعب شعرها برقة]**

إيـــديـــت : هل ما زلت تحبها ؟

نــــاتـــــان : هذا هو ما أردت أن تقوليه لى .

[إيديت تبتعد . تنظر حولها ، مضطربة . الجو تغير . أصبح مكفهرا]

نــــاتـــــان : هل ندخل ؟

إيـــديـــت : تريد أن تخبرنى شيئا عن بابا ؟

نــــاتـــــان : **[يتردد قبل أن يتكلم]** هل تذكرين مدام ناتِّى ؟

إيـــديـــت : مهذبة الأظفار ؟

نــــاتـــــان : نعم .

إيـــديـــت : وبعد ؟

نــــاتـــــان : الحقيقة أن جلسات تهذيب الأظفار التى كانت تعقد لبابا، ربما لم تكن.. هذا مجرد فرض، لم تكن مجرد جلسات تهذيب أظفار.. ومع ذلك، فأنت ترين أننا لم نغيِّر الموضوع كثيرا .

إيـــديـــت : بابا ... ؟

نــــاتـــــان : بابا .

إيـــديـــت : مع تلك المرأة .

نــــاتـــــان : الصغيرة ...

إيـــديــت : كانت تصغره بثلاثين عاما ...

نـــاتـــان : كان يدبِّر حاله بطريقة لا بأس بها .

إيـــديــت : هل كنت تعرف ذلك ؟

نـــاتـــان : تقريبا .

إيـــديــت : هل أخبرك بذلك ؟

نـــاتـــان : كلا ... ولكن ، ذات يوم كنت عنده، في شارع "بيير ديمور" ووصلت مدام ناتِّي ، وجهَّزت طستها ومقصاتها ... وخرجت أنا . وكنت قد نسيت نظارتي ؛ فرجعت بعد عشر دقائق ... وضغطت على الجرس ، وأخيرا ، جاء أبي يفتح على استحياء ، أشعث متدثرا في معطف المطر ، معطف المطر المعلق في المدخل منذ مائة عام ، فوجدت ذلك غريبا بعض الشيء كرداء ... وأعاد لي النظارة من خلال الباب ، دون أن يسمح لي بالدخول.

إيـــديــت : هل سألته عن شيء ؟

نـــاتـــان : نعم ، نظارتي .

إيـــديــت : لماذا لم تخبرنا .

[حركة تملص من جانب ناتان . لحظة]

إيـــديــت : المسكين ...

نـــاتـــان : المسكين ؟ ... لماذا ؟

إيـــديــت : لأن ...

[يظلان جامدين لحظة]

[إظـلام]

(٩)

[داخل المنزل . كراسى موسدة (فوتويات) ، منضدة منخفضة . بوفيه صغير . إيليزا وجوليين وبيير جالسون]

بيــــيـــــر : كنت أسكن فى شقة صغيرة بشارع لوبيك . وكنت مفلسا فى ذلك الوقت ، لكن كانت لى صديقة غنية ، زوجة موثق عقود من " دييب " كان له أيضا مكتب فى باريس . باختصار . كان دائم السفر . وفى عام من الأعوام وجدت نفسها وحيدة فى فترة رأس السنة . وأنا لم يكن عندى ما أعمله ، فاقترحت علىَّ أن نسافر إلى " ميجيف " لمدة أسبوع . رحلة غرام ، فوافقت . فقالت لى : " هذه هى النقود ، ادفع كل شىء : التذاكر والفندق، إلخ ." فأخذت النقود وذهبت إلى إحدى وكالات السفر بميدان الأوبرا . فحجزت الفندق ، وحجزت فى عربة النوم ، ودفعت الحساب ، وخرجت ...

[يظهر أليكس]

ألــيــكـــس : أكمل .

بيــــيـــــر : أنا أحكى حكاية " بايو " ، أنت تعرفها .

ألــيــكـــس : استمر ، استمر .

[أليكس يبقى واقفا بينما بيير يكمل قصته]

بيــــيـــــر : إذن ، أين وصلت ؟... أجل ، خرجت ، وسرت فى الطريق لآخذ حافلة من ميدان الأوبرا . انتظرت . وفى اللحظة

التى وصلت فيها الحافلة ، تصوروا من الذى رأيته ينزل من الحافلة ؟ " بايو " ، صديق قديم من أيام الدراسة ، كنت أراه من آن لآخر، لطيف جدا . وبعد السلامات والأحضان، سألنى عن أخبارى ، فقلت له إنى سأسافر غدا إلى " ميجيف " . لم يكن هو أيضا لديه ما يعمله ، فقال لى : " ميجيف رائعة " وعلى الفور أخرجت المظروف الذى أخذته من وكالة السفر ، وقلت له : هنا كل شيء يلزم لشخصين ، السفر ، والفندق ، إذا لم يكن عندك مانع نسافر غدا ، أنا وأنت . فنظر إلىّ وقال : والفتاة ؟ "فأجبته قائلا : " لا تشغل بالك ، "أحلق لها " . على أية حال ، فقد مللتها . وسافرنا .

ألـيـكـس : والبقية ؟

بيـيـر : خلاص . البقيَّة ، " ميجيف " والجليد الرائع ...

ألـيـكـس : أظن أنها لاحقتك بعد ذلك لتعيد لها النقود .

بيـيـر : نعم ، تقريبا ، لكننى لم أعد شيئا كما تعرف .

جـولـيـن : شيء فظيع ! إذا كنت تتصور أنك تضحكنا بهذه القصة!

ألـيـكـس : ما هو الفظيع !

جـولـيـن : لست أدرى ، على الأقل كنت ترد النقود .

بيـيـر : من أين ؟

جـولـيـن : حينما أتخيل هذه المرأة المسكينة التى بقيت وحدها فى باريس ! **[تضحك]**

بيـيـر : أرأيت ، أنت أيضا تضحكين .

جـــوليـين : أنا مخطئة .

بيـــيـــر : هل صُدمت يا إيليزا ؟

إيليـــزا : أنا ، أبدا . أنا أجد هذه القصة غريبة جدا . وجولين أيضا ، وهو الدليل .

جـــوليـين : الذى صدمنى هو أنه لم يرد النقود . كان بوسعه أن يقدم هدية ... أو يرسل بعض الزهور على الأقل . باقة كبيرة!

بيـــيـــر : كنت على وشك أن أرسل إليها بطاقة صغيرة من هناك . كان ينبغى أن أفعل ذلك .

جـــوليـين : لا تكن أكثر فظاعة مما أنت ... **[إلى إيليزا]** يتصور أنه يسرك ، المسكين.

ألـيـكـس : إيليزا حساسة جدا لهذا النوع من الفكاهة . إيليزا تحب الرجال الفسقة ، عديمى الأخلاق .

بيـــيـــر : دعونا من المبالغات .

ألـيـكـس : ليس أنت يا عزيزى بييرو ، أنت طفل برىء . **[يقترب من النافذة الخيالية]** السماء تمطر .

بيـــيـــر : أ ما يزالون فى الخارج ؟

[لحظة]

جـــوليـين : نعم ...

ألـيـكـس : هل رأيتم خريطة العالم التى رسمها السوفييت ؟ روسيا فى وسط العالم ، ونحن فوق فى بوغاز ، كأننا فى سجن تحت الأرض ... حاجة لطيفة !

بيــــيــــر : هل يمكن أن تعرف لماذا تحدثنا عن ذلك ، هكذا فجأة ؟

ألــيـكــس : لأننى أنظر إلى الريف .

[يصل ناتان مبللا]

جـــــوليـين : يا إلهى ! لقد أغرقك المطر .

نـــاتـــان : بسيطة ، بسيطة ، هذا مفيد .

بيــــيــــر : وأختك ؟

نـــاتـــان : صعدت لتغير ملابسها .

بيــــيــــر : أنت فاجأتنا ونحن فى محاضرة فى الجغرافيا .

ألــيـكــس : فى الفلسفة .

بيــــيــــر : فى الفلسفة !

نـــاتـــان : ممكن أشارك ؟

[أليكس يبتسم . لحظة]

نـــاتـــان : حسنا . لا بأس .

إيليـــــزا : يجب أن تغير ملابسك ، ستصاب بالبرد .

نـــاتـــان : كلا ، كلا ، سيجف هذا حالا .

بيــــيــــر : حكيت لهم حكاية " بايو " !...

نـــاتـــان : **[مخاطبا جوليين]** ألم تكونى تعرفينها .

جـــــوليـين : كلا .

بيــــيــــر : لقد أرعبتها الحكاية .

جـــــوليـين : أبدا ، مطلقا . لا أرى سببا للرعب ، على أية حال .

نـــاتـــان : الليل بدأ ... الجو حزين هنا. ألا تشربون شيئا ؟ ولا حتى منقوعًا ساخنًا ؟

[تظهر إيديت]

إيـــديـــت : غيرت ملابسى ، كنت مبللة ...

ألـيـكـس : ما رأيكم لو نلعب لعبة لإضفاء البهجة على الجو ؟ مونوبولى ، سكرابل ، يوجد هنا كل شىء .

نـــاتـــان : والضامة والشطرنج ...

إيـــديـــت : ألن تلعبوا ؟ لا أحد يرغب فى اللعب هنا !

نـــاتـــان : كلويدو ...

ألـيـكـس : آه ! آه ! أجمل لعبة فى العالم. كيف تذكرت هذه اللعبة ؟

نـــاتـــان : أخشى أن تكون جوليين لا تعرفها .

ألـيـكـس : نعم ، الكولونيل موتارد ...

نـــاتـــان : دكتور أوليف ...

جـــولـيـين : مادموازيل بير فينش ...

ألـيـكـس : عظيم !

بيـــيـــر : تعرفين هذه اللعبة ؟

جـــولـيـين : طبعا . هل تظنون أننى بلهاء . أنا جدّة مرتين .

نـــاتـــان : وتلعبين الكلويدو مع أحفادك ؟

جـــولـيـين : الكلويدو ، والميل بورن ، والكرابيت .

إيـــديـــت : كم عمريهما ؟

جـــولـيـين : ثلاث سنوات وسبع سنوات . طبعا أنا لا ألعب إلا مع الكبير . الصغير بدأ يتكلم بالكاد . يقول " بابا " ، ويقول أشياء بسيطة ، لأن الأطفال ... أقصد أن الأطفال الذين يتأخرون فى الكلام يكونون بعد ذلك ذلقى اللسان .

ألـــيـــكـــس : إذن أنت تأخرت فى الكلام .

إيليــــــزا : أليكس !

ألـــيـــكـــس : ماذا ؟ ... ماذا هناك يا إيليزا ؟

إيليــــــزا : لا شىء ...

ألـــيـــكـــس : بلا ! " أليكس ! " ... ماذا هناك ؟

[صمت]

إيليــــــزا : اهدأ ...

ألـــيـــكـــس : أنا هادئ جدا . هل أبدو عصبيا ؟

إيـــديـــت : حسنا . يكفى هذا الآن !...

ألـــيـــكـــس : ما معنى " يكفى هذا ! " ماذا هناك ! إنكم تدهشوننى !

نـــاتـــان : أنت أيضا تكلمت متأخرا جدا. لكن النتيجة ليست أكيدة.

ألـــيـــكـــس : على أية حال !... أوه ، جولبين ، لابد أن تشرحى معنى هذه العبارة ! أنت تستخدمينها كثيرا لكننى لم أفهم جيدا ، كيف أقول ، لم أفهم " الأصل اللغوى "

بيـــيـــر : شىء مؤسف بالنسبة لناقد أدبى .

ألـــيـــكـــس : لذلك لابد أن أعرف .

إيليــــــزا : كفى ، يا أليكس ...

ألـــيـــكـــس : تريدين أن أكف ؟

إيليــــــزا : نعم .

ألـــيـــكـــس : إذن ، أكف .

[لحظة]

إيـــديـــت : اذهب وأعدد لنا قهوة ما دمت تجيد إعدادها .

نـــاتـــان : ليته يعد لنا منقوعًا ساخنا .

ألــيــكــس : منقوعًا ؟ منقوعًا يا جوليين ؟ أنا أمزح . أنا أمزح . منقوع للجميع .

إيـــديـــت : اذهب .

ألــيــكــس : أنا ذاهب **[ينصرف]** ، أنا ذاهب .

[صمت]

نـــاتـــان : كان يمزح يا جوليين ... لا تأخذى كلامه مأخذ الجد .

جـــوليـين : أنت لطيف ، لكننى أعتقد أن أخاك لا يستلطفنى بالمرة .

الجـــمـــيع : كلا ، كلا .

جـــوليـين : **[وهى تكاد تجهش بالبكاء]** نعم ، نعم . لا أهميـة لذلك ، لا أهمية لذلك .

إيـــديـــت : جوليين ، إنه ليس فى حالته العادية اليوم .

جـــوليـين : عارفة ، عارفة . ومن الطبيعى أنهم جميعا اليوم متأثرون، وأنا هنا مثل ... [تبكى] لقد ألح بيير لكى آتى لكننى كالغريبة . لست فردا من الأسرة حقا .

إيليـــــزا : إذا كان هنا شخص ليس فردا فى الأسرة فهو أنا يا جوليين وليس أنت. أنت زوجة خالهم ، أنت من الأسرة تماما .

جـــوليـين : **[وهى تبكى]** قال لى قبل قليل أشياء ... كأننى حيوانة .

نـــاتـــان : ماذا قال لك .

جـــوليـين : لا شىء ... ليسخر منى فقط... لا تقولى يا إيديت، أرجوك.

إيـــديـــت : سأذهب لإحضاره .

جـــــوليـين : كلا ! لماذا تذهبين لإحضاره ، دعيه فى حاله المسكين .

بيـــــيــــر : يا له من يوم يا أبنائى !

جـــــوليين : أنا آسفة ... أنا آسفة . أنا أثير السخرية .

نـــاتـــان : ليس هناك أى سبب لكى تتأسفى .

جـــــوليين : كلكم تبذلون مجهودا لكى ... وأنا أنخرط فى البكاء !... كالبلهاء ... [تنتحب] كل ما أستطيع عمله !

[إيديت تعـود ووراءها أليكس . أليكس يتـوقف دون أن يقول شيئا أمام جوليين]

جـــــوليين : **[مخاطبة أليكس]** أنت لا ذنب لك ... انتهى الأمر . وأطلب منكم جميعا أن تسامحونى .

[أليكس يجذب ذراع جوليين لكى تنهض . حينما وقفت يأخذها بين ذراعيه ويقبلها ، ويظل محتفظا بها لحظة بين ذراعيه حينما يتركها ، نرى وجهها مبللا بالدموع]

[لحظة]

بيـــــيــــر : **[مخاطبا أليكس]** أليس عندك شىء من الكحول ، بدلا من منقوعك هذا ؟

ألـــيـكـــس : بلى ... سمعا وطاعة !...

إيـليــــــزا : هل أذهب معك ؟

ألـــيـكـــس : لن نذهب إلى أى مكان . كل شىء هنا .

[بمساعدة ناتان ، يفتح باب البوفيه ويخرج زجاجات يضعها فوق المنضدة المنخفضة]

نـــاتـــان : ما عليكم إلا مشقة الاختيار يا أصدقائى ... ولو أننى أنصحكم بوجه خاص بالزجاجة الخضراء . مشروب خرشوف مجرى ...

بيـــيـــر : إنه مهِّضم !

نـــاتـــان : هنا كل ما تريد . يمكنك أن تضيف ماءً بالثلج ، ويمكنك أيضا أن تسمَّ زوجتك .

بيـــيـــر : دعها تتنفس .

نـــاتـــان : ذق ، وسترى .

بيـــيـــر : هل هو ردىء ؟

نـــاتـــان : أحد الزبائن هو الذى أعطانى هذه الزجاجة . وهى هنا منذ خمس عشرة سنة .

بيـــيـــر : أعطنى كأسًا من الويسكى !

نـــاتـــان : جوليين ؟

جـــوليـين : نقطة من بورتو .

[أليكس يقدم لها]

جـــوليـين : شكرا . ستوب ! أنت لطيف .

نـــاتـــان : إيليزا ؟

إيـليـــزا : أنا أذوق هذا المشروب المجرى .

بيـــيـــر : آه، كنت متأكدا من ذلك! كنت متأكدا أن شخصا سيأخذ منه ، وكنت متأكدا من أن هذا الشخص هو أنت !

إيـليـــزا : لماذا ، هل رأسى مكتوب عليه أننى أشرب الخرشوف ؟

بيـــيـــر : رأسك رأس رائدة مـقـدامـة . بالذات الـعـينان ... حـدقـة عينيك حدقـة مغامرة جسورة .

إيـــديـــت : ماذا تقول ؟

بيـــيـــر : كلا . هـذا صـحيح . أنت تحبين المخاطرة . لا تحبين أن يفرض عليك أسلوب حياة معين . هل أنا مخطئ ؟

إيليـــزا : **[تبتسم]** فى هذه الحالة ، لا أشعر بأننى أخاطر مخاطرة كبيرة .

نـــاتـــان : **[يقدم لها كأسها]** لا تتكلمى بأسرع مما يجب ...

إيليـــزا : **[ترفع كأسها]** سنرى ...

إيـــديـــت : وأنا ، ألا أشرب شيئا ؟

ألـيـكـس : ماذا تريدين ؟

إيـــديـــت : بورتو أبيض **[مخاطبا بيير]** تشرب هكذا ؟ ألا تريد بعض الثلج ؟

بيـــيـــر : كلا ، كلا ، لا تزعج نفسك . هكذا رائع .

[أليكس وناتان يملآن كأسيهما . إيليزا تنوق الخرشوف]

نـــاتـــان : كيف الحال ؟

إيليـــزا : حلو ، كله حنين وفلفل **[تكمل شرب كأسها]**

نـــاتـــان : المزيد ؟

إيليـــزا : نعم ... أنت أعطيتنى قليلا فى قعر الكأس .

[يقدم لها مرة أخرى . إيليزا تبتسم لبيير]

[لحظة]

[صوت المطر فى الخارج]

بيـــــيـــــر : " لا أعذبَ على قلب مفعم بالأشجان الجنائزية
" نزل عليه الجليد منذ زمن بعيد ،
" من المشهد الدائم لظلماتك الشاحبة ،
" إن لم يقم ، فى مساء غاب قمره ، مثنى مثنى ،
" بتنويم آلامه فوق فراشٍ جسور . "

نــــاتـــــان : لمن هذا الشعر ؟

بيـــــيـــــر : من ديوان " غيوم وأمطار " خمِّنوا من يكون الشاعر .

إيـــــديـــــت : أنت .

بيـــــيـــــر : " يا أواخر الخريف ، أيها الشتاء ، أيها الربيع الملوث بالأوحال . " أيتها الفصول التى تُغرى بالنعاس !... " هذا شرف عظيم لى يا حبيبتى، لكن هذا الشعر للأستاذ شارل بودلير :

نــــاتـــــان : أخبرينى يا جوليين ، هل ينظم لك بعض القصائد عندما يأتى المساء ؟

جـــــوليـين : أحيانا . يحدث له ذلك . ولكن هذا يحدث بالأحرى فى الصباح .

بيـــــيـــــر : الصباح .فيكتور هوجو !المساء ، بودلير ، أبو للينيير .سيفوتك القطار يا إيليزا .

نــــاتـــــان : لا يزال أمامنا متسع من الوقت ، القطار فى الثامنة .

ألـيـكـــس : **[إلى إيليزا]** – لماذا تعودين ؟

إيليـيــــــزا : لأننى لن أنام هنا

ألـيـكـــس : لماذا ؟

إيليــــزا : لأن ...

ألــيــكــس : لأن ماذا ؟

إيليــــزا : لأنه يجب أن أعود .

ألــيــكــس : هل هناك من ينتظرك ؟

إيليــــزا : كلا ...

ألــيــكــس : إذن ؟

[لحظة قصيرة]

إيليــــزا : **[تبتسم]** إذا أسرفت فى شرب الخرشوف فسينتهى بى الأمر إلى البقاء .

ألــيــكــس : هل تريدين البقاء ؟

إيليــــزا : اسمع يا أليكس . لقد قررت السفر ، وسآخذ قطار الثامنة .

ألــيــكــس : ولكننى لا أدرى لماذا تريدين السفر ، هل ذلك بسببى أنا؟

إيليــــزا : كلا .

ألــيــكــس : **[مخاطبا بيير]** هل يمكن أن تصحبها معك صباح غد .

بيــيــر : بالتأكيد !

ألــيــكــس : ستعودين معهما صباح غد ، فما المشكلة ؟

إيليــــزا : لا أفهم معنى لإلحاحك ...

ألــيــكــس : وإذا طلبت منك البقاء ؟

إيليــــزا : لماذا ؟

ألــيــكــس : هل لا بد من سبب ؟

إيــديــث : دعها تفعل ما تريد يا أخى ، ما أثقلك !

إيليـــزا : شكرا ، يا إيديت .

ألـيـكـس : وأنا الذى يجب أن تشكرونى . لا تخلطى الأمور .

بيــيـــر : ماذا لو تركتموها تفكر ، هذه الصغيرة ؟ **[إلى إيليزا]** تأخذين قرارك فى آخر لحظة . كما توجب الحكمة .

إيليـــزا : سأعمل باقتراحك ...

بيــيـــر : مالك تلزم الصمت يا ناتان !

نــاتــان : النقاش انتهى ، أليس كذلك ؟

بيــيـــر : لم أكن أعرف أن أباكم كان يكتب. أنا أنتقل من موضوع إلى موضوع آخر تماما ، لكننى لم أكن أعرف أن "سيمون" كان يكتب . كان ذلك كشفا بالنسبة لى حينما سمعتك تقرأ هذا النص ...

نــاتــان : كان يكتب فى شبابه ... لا أعتقد أنه واظب على ذلك ...

بيــيـــر : لو كان هناك رجل ...

نــاتــان : لم تكن تتصور أنه يكتب ...

بيــيـــر : نعم ! يكاد يكون التناقض بعينه ... كيف يمكن أن نتصور عقلية فى أساسها تجريدية مثل عقليته ، مكرسة للرياضيات والموسيقى ، ثم تهتم بالأدب !

ألـيـكـس : أنا لا أرى فى ذلك أى تناقض .

بيــيـــر : إذا لم يكن الفعل ... الالتزام الجسدى، الالتزام العاطفى.. **[يملأ كأسه]** آه ، الشيخوخة ! حينما يدخل المرء فى الشيخوخة ، يقول كلاما فارغا .

جـــــولـيـن : ألا ترين أنه من الواجـب أن نلقى نظـرة علـى الحساء ، يا إيديت ؟

إيــــديــــت : كل شىء على ما يرام . تأكدت من ذلك حينما رجعت .

بـيـــــــــر : **[إلى أليكس]** – لذلك كان يشعر بالأسى لأنك لا تكتب .

ألــيــكــس : حسنا، تصـور أننى كنت أنتظر هذه الخاتمة منذ البداية، ومع ذلك كنت أرجو ألا تكون ...

بيــــيـــــر : كاتب فاشل !

ألــيــكــس : فاشل ، نعم .

بيــــيـــــر : عفوا ! كل ذلك لا أهمية له . إنها الريح فى الخارج .

ألــيــكــس : ليس عندى ما أقوله . لم يكن عندى ما أقوله فى يوم من الأيام. كيف يكتب المرء حينما لا يكون لديه ما يقوله بالمرة؟

بيــــيـــــر : لا أظن أنه ليس لديك ما تقوله ...

ألــيــكــس : حـقـا ؟ هل تظن أن لدى مـا أقـوله ؟ إذن مـاذا ؟ قل لى ماذا ، فنكسب وقتا .

بيــــيـــــر : أنا متعب يا عزيزى . لم أعد أقوى على مثل هذا الهراء .

ألــيــكــس : أنت تقـول لى إن لدى مـا أقـوله ، وأنا أسـألك مـاذا ؟ هل تعرف خيرا منى ؟

إيــــديــــت : إذا لم يكن لديك ما تقوله ، فقفِّل ! لا أعرف لماذا تقرفنا !

ألــيــكــس : آه !... أيتها الرقيقة إيديت لم أعرف عنك هذه اللغة ...

إيــــديــــت : حسنا ، الآن عرفتها .

ألــيــكــس : عرفتها نعم ... هل أخذت قرارا يا إيليزا ؟ لا داعى للنظر إلى ناتان ، هو يريد أن تبقى بالتأكيد .

إيـــديـــت : إذا قـررت البقـاء ، لابـد من إشعال المدفأة فى الغرفة السفلية ، فهى مرتع للرطوبة .

نـــاتـــان : لا داعى ، صراحة .

[لحظة]

نـــاتـــان : إذا بقيت إيليزا فلن تبيت فى هذه الغرفة .

إيـــديـــت : أين تبيت ، إذن ؟

نـــاتـــان : فى غرفتى .

إيـــديـــت : وأنت ؟

نـــاتـــان : فى غـرفـتـى أيضـا ، أيـن تريديـن أن أذهـب ؛ بمعنى آخر ، إذا بقيت إيليزا فسنقضى الليلة معا .

[صمت]

إيـــديـــت : أشعر كأننى أحلم ... **[إلى إيليزا]** ماذا ستصنعين ؟ قولى شيئا !

[صمت]

إيـــديـــت : ولكن قـولى شـيئـا . الجمـيع يقـررون لك ، وأنت صـامتـة كالتمثال ، تكلمى !

نـــاتـــان : لست أدرى سببا لهذه الحالة التى أنت فيها ...

إيـــديـــت : لم أعـد أفهـم شيئا . أشـعر كأننى أعيش فى عالم من المجانين !... يوم جنازة بابا ! **[تبكى]**

نـــاتـــان : بالضبط .

إيـــديـــت : بالضبط ، ماذا ؟

نـــاتـــان : يوم جنازة بابا .

إيـــديـــت : يجب أن تنام مع هذه الـ ؟!... ولكن، قولى شيئا يا إيليزا ! أرجوك ، قولى شيئا ... بابا ... بابا ... تعال !... أريد أن أموت ...

جــــولـيـن : **[تحوطها بذراعها]** اهدئى يا إيديت ، اهدئى .

إيـليـــــزا : أليكس ، اصحبنى إلى المحطة لو سمحت .

ألــيــكــس : أنت مخطئة ...

إيـليـــــزا : لو سمحت ...

نـــاتـــان : سأصحبك أنا .

إيـليـــــزا : هيا بنا .

[تنهض]

ألــيــكــس : انتظرى **[صمت]** دقيقة ؟ عندى كلمة أقولها لك . كلمة واحدة ... يعنى، ربما أكثر قليلا من كلمة ... **[لحظة]** فى يوم الحداد هذا ... كان ينقص حادث ... فعل ، كلمة ... فى هذه الحجرة ، يوجد شخص كنت أعتقد أنه غاب نهائيا ... لكنه جاء ليثبت العكس تماما . هذا كل شىء . **[إلى إيليزا]** والآن ، افعلى ما تريدين .

إيـليـــــزا : هل أنت متأكد أن هذا كل شىء ؟

ألــيــكــس : هى تبكى ... وأنت تسافرين ... **[يلتفت إلى ناتان ويرمقه بنظرة]** أما أنا، فبالعكس ، أشعر بامتنان كبير ... هذا كل شىء حقا **[إلى بيير]** هل تعطينى سيجارة .

[بيير يقدم إليه العلبة . أليكس يأخذ سيجارة]

إيـــديـــت : وأنا أيضا ، لو سمحت ...

ألـيكـس : أرأيت سجائرك فى النهاية ...

[يشعل سيجارة إيديت ، ويقدم العلبة لبيير]

[لحظة]

نـاتـان : **[إلى إيليزا]** – أنا ما زلت تحت أمرك .

إيليـزا : هيا بنا .

[تتوجه إلى بيير وتبسط له يدها]

إيليـزا : إلى اللقاء ...

بيـيـر : خذى مظلة !

إيليـزا : نعم ... إلى اللقاء يا جولبين .

جـولـين : إلى اللقاء يا إيليزا .

إيليـزا : كان معى معطف ؟

إيـديـت : معلق فى دولاب الممر ...

[إيليزا تميل على إيديت وتقبلها بسرعة وتستدير لتخرج]

ألـيكـس : وأنا ، لا يقال لى إلى اللقاء ؟

إيليـزا : إلى اللقاء ...

[إيديت تمسك بذراع إيليزا]

إيـديـت : لا تذهبى ...

[لحظة قصيرة]

ألـيكـس : هل سنصل إلى قمة السخرية ؟ **[إلى إيليزا]** خروجان زائفان فى يوم واحد ، هذا كثير .

إيـديـت : لا تذهبى ، أرجوك ... أنا لا أقوى على الكلام ...

إيليـزا : مرتين ، هذا كثير فعلا يا إيديت ، هو على حق ...

بيـــــيـــــر : أنت لم تخرجى بعد من الحجرة ...

ألـــيـــكـــس : وأنت أيضا تدلى بدلوك .

بيـــــيـــــر : أنا لا أتدخل . أنا أعلق .

إيـلـيـــــزا : **[إلى أليكس]** ساعدنى ...

ألـــيـــكـــس : أنا لـن أكـف ... لقـد لاحظتك منـذ الصبـاح ، أنا أعـرف كل شىء عنك ، حركاتك ، وجهك ، طريقتك فى التحرك ، طريقتك فى الكلام . أعرف بالضبط كيف ستخرجين ، كيف ستغلقين الباب ، تتدثرين بالمعطف ... فى السيارة ، لن تقولى شيئا ، ستشعلين سيجارة ... ستتظاهرين بالحزن ... وكل ذلك يستوى بالنسبة لى ، يستوى تماما . كنت أتوقع انقلابا ، لو كنت قابلتك فى ظروف أخرى ، لكنت بالتأكيد لاحقت سرابا ... هيا ، أخرجى !

[إيليـزا تتـراجع ، تتجـاوز ناتان وتخرج . ناتان يتـأهب ليتبعها. ثم يتوقف ويلتفت إلى أليكس. يبحث عن كلماته... وأخيرا وفى حركة عجز ، يبتسم]

[أليكس يبتسم . ناتان يخرج]

[صمت]

[يتقدم أليكس خطوات ويجلس مكان إيليزا]

ألـــيـــكـــس : إذن ، الفيلسوف ؟ ألا تقول شيئا ؟

بيـــــيـــــر : أنا الفيلسوف ؟

ألـــيـــكـــس : بيـيـر الفـيلسوف **[إلى إيديت]** كـفى عـن البـكاء . تمخطى ، خلاص ، انتهى الموضوع .

إيـــديـــت : أنا حطمت كل شيء ...
ألـيـكـس : كلا .
إيـــديـــت : أجل ...
ألـيـكـس : قلت كلا .
[صمت]
ألـيـكـس : ماشى الحال يا جولبين ؟
جـــولـيـن : نعم ، نعم ...
ألـيـكـس : ليست غريبة ، العائلة ، هه ؟
جـــولـيـن : اسمع يا أليكس ، أرجوك ، لا تستمر فى الحديث معى على أننى متخلفة عقليا ...
ألـيـكـس : بدأنا !
جـــولـيـن : أؤكد لك أن هذا شيء بشع للغاية .
ألـيـكـس : هل ترين أنهما كانا على حق حينما سافرا ؟
جـــولـيـن : يا له من سؤال !
ألـيـكـس : ليس هناك فخ وراء السؤال . أود أن أعرف رأيك .
جـــولـيـن : ولكن كيف تريد منى أن أجيب عن سؤالك ؟
ألـيـكـس : الـ" ٥٠٤ " أمام سور الحديقة ، وهما مبللان ... وإيليزا ساخطة ، شعرها يتجعد حينما ينزل المطر ... **[لحظة]** أشعر أننى بصحة جيدة ... أشعر أننى فارغ تماما وبصحة جيدة .
[صمت]
بيـــيـــر : فارغ ... نعم .

ألـــيـكـــس : أين تقابلتما أنتما الاثنان ؟

بيـــــيــــر : آى ، آى ، آى ... أين كان ذلك ؟

[جولبين تتنهد]

بيـــــيــــر : بالإعلان ...

جــــوليـين : من غير المعقول ...

بيـــــيــــر : تحت بواكى " بور رويال " ...

جــــوليـين : عند أصدقاء مشتركين ، بكل بساطة .

ألـــيـكـــس : صاعقة ؟

بيـــــيــــر : هى ، نعم .

جــــوليـين : أنت متعب ، تعرف .

[لحظة]

بيـــــيــــر : كانت ترتدى دثارا كورسيكيا ...

جــــوليـين : دثارا !

بيـــــيــــر : ماذا يسمى ؟ كاب ؟

جــــوليـين : كاب ! دثار ، قبعة عبيطة .

بيـــــيــــر : إذن كاب ، وتنزهنا فعلا تحت بواكى "بور رويال" ، دون أن أتمكن من مسك ذراعها لحظة واحدة ، نظرا لنوع ثوبها ...

جــــوليـين : كان بإمكانك أن تفعل ذلك ، كان يكفى أن أخرج ذراعى .

بيـــــيــــر : لكنك لم تخرجيها .

[صمت]

ألـــيـكـــس : أكمل ... أنا أعشق هذه القصص .

بيـــــيـــــر : مشهيات الذاكرة ...

ألـــيــكـــس : استمر ... أرجوك .

جـــــوليـين : المشهيات... حينما يكون فى الفورمة . حينما يكون فى كامل لياقته ، أقصد حينما يكون الجمهور كثير العدد ، وبطبيعة الحال متجاوبا ، فإنه يكون قادراً على أن يحكى حكايات ، ليس فقط لا أصل لها ولا فصل ، وإنما زيادة على ذلك ، تنتهى بتعريضنا للسخرية .

بيـــــيـــــر : وهل تعرف ماذا تفعل هى فى هذه الحالة ؟ تقول: " كلا ! ماذا تخترع ! ". فماذا يكون موقفى ؟

جـــــوليـين : مطلقا . لا أقول شيئا بالمرة .

بيـــــيـــــر : تتخذين هيئة ... وهذا أسوأ .

جـــــوليـين : مطلقا .

[صمت]

ألـــيــكـــس : استمر ...

بيـــــيـــــر : أستمر ؟

ألـــيــكـــس : استمر ...

بيـــــيـــــر : الجمهور هو الذى ينقص ، كما ترى . **[يبتسم]** عدم وجود مشاهدين ! **[إلى إيديت التى تنهض]** أين تذهبين ؟

إيـــــديـــــت : إلى المطبخ **[تخرج]**

بيـــــيـــــر : **[إلى جوليين]** اذهبى وساعديها ؛ يعنى ، لا تتركيها وحدها .

[جوليين تنهض]

جـــــوليـين : هل سيعود أخوك ؟ ... مـاذا نصنع بكل هذا الحسـاء ! إن لم نكن أربعة ؟

بيـــــيـــــر : نعطيه للقطط .

جـــــوليـين : **[إلى أليكس]** هل عندكم قطط ؟

بيـــــيـــــر : للقطط الضـالة ، التى تجول ...

[تخرج جولبين]

بيـــــيـــــر : لا تطيق فكرة البعثرة ... هل تحلم ؟

ألـــيـــكـــس : أحلم ؟

[يسمع صوت مـاء وصفق منتظم . أليكس مـتمـدد فى الكرسى الموسد وعيناه شبه مغمضتين]

بيـــــيـــــر : من أين يأتى هذا الصوت ؟

ألـــيـــكـــس : هذا المزراب .

بيـــــيـــــر : آه ...

ألـــيـــكـــس : ربطته بخرقة ، وكدت أقتل نفسى . ألم تر ؟

بيـــــيـــــر : بلى ، رأيت .

[صمت]

بيـــــيـــــر : هل أختك مـا تزال ترى الـ ... نسـيت اسـمـه ، مندوب المشروبات ؟

ألـــيـــكـــس : جان سانتينى . نعم .

بيـــــيـــــر : كورسيكى ؟

ألـــيـــكـــس : من أصل إيطالى .

بيـــــيـــــر : كان عندى محاسب اسمه سانتينى . كان من كورسيكا .

ألـيـكـس : آه ، نعم .
بيــيــر : من كورسيكا القديمة... أنت واثق أن هذا ليس كورسيكيا؟
ألـيـكـس : واثق .
بيــيــر : الصوت مستمر ... مزرابك هذا غير محكم .
ألـيـكـس : أحب هذا . أحب هذا الصوت كثيرا .
بيــيــر : نعم ... يعنى ...
[صمت]
بيــيــر : آه من هذه الشيخوخة !
[صمت . تعود جوليين]
جــولـيـين : [مخاطبة بيير بصوت خفيض] – هى تبكى ...
بيــيــر : [بعد لحظة] إيديت !
ألـيـكـس : دعيها ... ما من شيء يمكن عمله ...
جــولـيـين : تريد أن تكون وحدها... يجب أن نتركها وحدها... ألا يوجد نور آخر هنا؟ لماذا لا تشعلون هذا المصباح ؟ هل هو سليم ؟
ألـيـكـس : جربى ...
[جوليين تشعل المصباح]
جــولـيـين : هكذا أفضل ، أليس كذلك ؟
بيــيــر : اجلسى .
جــولـيـين : سأرفع الأكواب .
بيــيــر : سنفعل ذلك بعد قليل
جــولـيـين : حسنا

بيـــيــــر : لابد أن تتحركى ، هه ؟

جـــــولـيـن : كلا ، كلا ، سأجلس .

[لحظة]

جـــــولـيـن : ما الذى يطبِّل فى الخارج .

بيـــيــــر : المزراب .

جـــــولـيـن : المزراب يحدث هذا الصوت ؟

بيـــيــــر : نعم .

[لحظة]

جـــــولـيـن : أخـذت هذا الشـال من المدخل . لا يمكن أن نقـول إنه مناسب جدا... ألا ترى أن الجـو فيـه لسـعـة برد ؟ لقـد تأكدت من التدفئة فهى شغالة .

بيـــيــــر : الرطوبة ...

جـــــولـيـن : نعم بالتأكيد . الجدران رطبة .

[تقبل إيديت بسرعة ، مضطربة للغاية]

إيــــديـــت : يوجـد شـخص عـلى الباب . شـخص يحـاول أن يدخل ! هل تسمعون ؟!

[لحظة قصيرة . يدخل ناتان وإيليزا]

نـــاتـــان : هذا نحن ... **[لحظة . إلى إيليزا]** تعالى .

[يأخذها من ذراعيها . يتقدمان]

نـــاتـــان : **[إلى إيديت]** رأينــا شـبحا يمـر سـريعا فى الدهليـز . كنت أنت ؟

إيــــديـــت : سمعت الكالون ... ظننت أن أحداً يقتحم المنزل .

نـــاتـــان : الباب لم يكن مغلقا بالمفتاح .

إيـــديـــت : سمعت ضوضاء .

[لحظة قصيرة]

بيـــيـــر : عدتما ... أو أنكما لم تسافرا ؟

نـــاتـــان : سافرنا ... وعدنا **[إلى إيليزا]** اجلسى .

[إيليزا تجلس وجلة]

[صمت]

جـــوليـين : هذه المسكينة الصغيرة تنتفض من البرد . **[تنهض وتقدم الشال إلى إيليزا]** خـذى ، تدثرى فى هـذا... سامحينى يا إيديت ، لقد عثرت عليه فى المدخل، أعتقد أنه شالك .

إيـــديـــت : **[إلى إيليـزا]** هل تشعـرين بالبـرد ؟ هل تريدين كنزة **(بلوفر)** صوفية ؟ عندى أشياء كثيرة فوق .

إيليـــزا : كلا ، كلا ، لا أريد شيئا . شكرا . هذا يكفى تماما

[تضـع الشال فـوق كتفيـها وتبتسـم لإيديت . إيديت تبتسم لها]

إيليـــزا : رائحة طيبة عندما ندخل من الخارج ...

إيـــديـــت : صحيح ؟

إيليـــزا : نعم ، رائحة طيبة جدا .

[لحظة . إيليزا تنظر إلى أليكس]

إيليـــزا : خروجان مزيفان ...

ألـيـكـس : فى يوم واحد ... ولم لا ؟

[صمت]

بيـــيـــر : إذن سافرتما حقا ثم رجعتما ؟ **[إلى جولبين]** ماذا ؟ أنا لا أوجه أسئلة !... زوجتى تستهجن كلامى ، ولكننى لا أوجه أية أسئلة !

نـــاتـــان : لقد غادرنا هذا المنزل.. نعم . إيديت ؟... اقتربى... ماذا تفعلين هناك؟... اجتزنا الحديقة ، تحت المطر... وركبنا فى السيارة ... وشغلت الكونتاكت ... وشغلت المساحات ... والأنوار ... وظلت إيليزا صامتة ... ولم تشعل سيجارة ، ولم تتظاهر بأنها حزينة ... وبقينا فى مكاننا ، دقيقة ، ربما ؟ خلال هذه الدقيقة حدث شىء غريب . ومفاجئ.. محطة " جيان" التى كنا نظن أننا فى " جيان " ، كانت هنا ، أمام سور الحديقة ... وكانت الساعة فى أعلى الواجهة تشير إلى السابعة، فكان أمامنا ساعة نقضيها... **[لحظة . يتقدم خطوات ويقترب من النافذة ثم يعود]** كان هناك أناس كثيرون من كل نوع على الرصيف ، أشباح يحملون الحقائب ، وأشباح سائقين ، وسيارات أجرة ، وأنوار فنادق ، وضوضاء عربات تفرمل فى برك الماء ... فقلت لإيليزا " هيًّا ندخل أى مقهى " ، وشربنا شيئا وحكيت لها إحدى الذكريات التى ترجع إلى ثلاثين عاما مضت فى هذه المحطة نفسها ، فقالت لى " إننى أشعر بالرعب من محطات السكك الحديدية " ... وفيما نحن نتكلم ، كانت الساعة تدور والوقت يمضى ... فعبرنا الشارع ، وأسرعنا إلى شباك التذاكر لشراء التذكرة ...

ثم رصيف المحطة ، الصفارة ، العربة الأولى التى ركبت فيها ... وسمعنا ضجيج الأبواب وصرير اصطكاك الحديد ، وتحرك القطار ... ورأيتها تختفى فى الريف ، وهى من نافذتها رأت الريف يذوب ويختفى ... وكذلك المحطة اختفت ... وأغلقت الكونتاكت ، وأطفأت الأنوار ، وقطعنا الطريق فى الاتجاه العكسى ونحن نجرى ...

[صمت]

ألـيـكـس : **[إلى بيـيـر]** هل عرفت لماذا لم أكتب ؟... بسبب هذا بالتحديد... هذا النوع من الأشياء ... المحطة بقيت دائما خالية فى هذا المكان ... **[إلى إيليزا]** أنتما سافرتما ... وبقينا نحن الأربعة جالسين هنا ، بين هذه الجدران الأربعة ، أنا هنا فى هذا المكان نفسه ، لم أتحرك ... ثم حدث شىء غريب أيضا ، غريب جدا ... كنت جالسا فى الـ ٥٠٤ فى الخلف ، وأنت كنت فى الأمام . وكان ناتان يقود ، وكان قد شغَّل المساحات على السرعة المضاعفة ، أنا أتذكر ذلك تماما ؛ الكاوتشوك ردىء ، أحدث صوتا عند الاحتكاك ... وعبرنا " دامبيير " ، ووضعت أنت شريط موسيقى ، لشوبير ... والتفتت نحوى وسألتنى إذا كان الصوت عاليا جدا ، فقلت " لا ، لا ، لا... لا تغيرى شيئا ، لا تغيرى شيئا " فلم تغيرى شيئا . وطرحت رأسى للوراء ورأيت الأشجار، والأنوار وخطوط الماء التى تجرى على الزجاج ، ونظرة ناتان فى المرآة ، نظرة ناتان الباسمة ،

والليل ... الضباب والليل ... وكنت ، كيف أقول ، فارغا ، نعم ثقل فوق المقعد الخلفى ، مطمئنا ، آمنا ... **[لحظة]** تلك هى الكتابة بالضبط ، تذهب إلى مكان لا تذهب إليه ... ومهما نكن قد صنعنا فوق الصفحة التى أصبحت خالية ... فهناك العودة ونهاية المغامرة ... وأنا فى سن العشرين ، كنت أتخيل إبداعى سبع مجلدات من الورق الفخم ، عالما من الوحوش المدمرة ، ترفعها أمواج البحر الهائجة ، يسيطر عليها الهوس والجنون ... مخلوقات صاخبة ، مخلوقات فيها العبقرية والقوة والنَّصَب ... كان ذلك تصوُّرى وأنا فى العشرين من عمرى ... وبدلا من كل ذلك ، الحلية اليومية ، الجرح الصغير فى وسط العالم ، المجرى الذى لا ينتهى من الرغبات ، والخطوات ، والحركات العقيمة ... متاهة الطرق العقيمة ... وكذلك الحنان ... الحنان الذى يُجمِّدنى ... **[لحظة]** والحساء العظيم الذى أعدته لنا إيديت ، وأنا سأرشُّ فوقه جميع توابل المطبخ .

إيديت : ذق !

أليكس : سترين !

[صمت]

إيديت : اتصلت هاتفيا بجان قبل قليل . سيأتى .

أليكس : السيد " تسى تسى " سيأتى للعشاء ... لن يصل قبل منتصف الليل .

بيـــيـــر : " فى مساء غاب قمره ، مثنى ، مثنى ... "

جـــولـيـن : كف يا بيير . اسكت مرة .

[لحظة]

ألـيـكـس : إلى المائدة !

إيـلـيـــزا : هكذا بسرعة ؟

ألـيـكـس : تقصدين أخيراً .

[إظـــلام]